شـــعر عـــريب المأمونية

جـــــارية المـــــأمون

جمع ودراسة

إعداد الدكتور

ســـعيد أحمد غـــراب

مدرس الأدب والنقد في الكلية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

أحمدك ربي سبحانك حمداً يرضيك، وأشكرك شكراً يستدر المزيد من آلائك ونعمك، وأصلي وأسلم على سيدنا ومولانا رسول الله، وعلى آله وأصحابه، ومن والاهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

ثم أما بعد:

فقد شهد العصر العباسي زيادة مفرطة في أعداد الجواري في طول البلاد وعرضها ؛ بسبب كثرة الأسرى في الحروب، وبسبب انتشار تجارة الرقيق انتشاراً بعيد الغور، فبعد تأسيس مدينة بغداد، جلبهنّ إليها الخلفاء والتجار من مختلف البلدان، فكان منهن: الروميات، والحبشيات، والشركسيات، والعربيات، وكذا من المدينة، والطائف، واليمامة، ومصر.

وكان عدد الرقيق من النساء الجواري، يفوق عدد الرقيق من الرجال، لذا زخرت بهن الدور والقصور، ولما كنّ من أجناس، وثقافات، وديانات، وحضارات مختلفة، فقد أثّرن آثاراً واسعة في أبنائهن، ومحيطهن، وهي آثار امتدت إلى قصر الخلافة، وعملت فيه عملاً بعيد الغور، فقد كان أكثر الخلفاء من أبنائهن، فالمنصور: أمه حبشية، والهادي والرشيد: أمهما الخيزران، وهي رومية، والمأمون: أمه مراجل، وهي فارسية، وكذا أم المعتصم: ماردة، وكانت أم الواثق: رومية، وتسمى قراطيس (١).

ومن هنا: يندهش الإنسان حين يقرأ قول ابن حزم: لم يل الخلافة في الصدر الأول " الأموي " من كانت أمه من الإماء سوى: يزيد، وإبراهيم ابن الوليد، ولم يل الخلافة من بني العباس من كانت أمه حرة سوى: العباس، الملقب بالسفاح، والمهدي، والأمين، ولم يل الخلافة من بني أمية بالأندلس من كانت أمه حرة أصلا (٢)

---

(١) يراجع في هذا الجانب: العصر العباسي الأول، د. شوقي ضيف / ٥٧ وما بعدها، ط ١٧، دار المعارف ٢٠٠٧م

(٢) ينظر: النساء الحاكمات من الجواري والملكات، د. يحيى الجبوري / ١٦، الطبعة الأولى، دار مجد لاوي للنشر والتوزيع، عمان ٢٠١٠ / ٢٠١١م، وحكايات الجواري في قصور الخلفاء، تأليف: سعيد أبو العينين دار أخبار اليوم – قطاع الثقافة – عدد يونية ١٩٩٨م

وهو قول يجسد مدى السيطرة بعيدة الدى للجواري على الحياة في العصر العباسي، مما دفع بالكثيرات منهن إلى التدخل في الشئون السياسية للدولة بصورة واضحة، وقد كان لنساء الخلفاء، وأمهاتهم، وجواريهن، دور لا يمكن إغفاله في هذا الشأن.

وقد تنبه الخليفة أبو جعفر المنصور لخطورة هذا الأمر، وكان يجد في نفسه شيئاً منه، لذا كان من أهم ما تضمنته وصيته لابنه محمد المهدي: إياك أن تدخل النساء في أمرك (١)

وكان من أجل أن تصل جارية من الجواري إلى تلك المكانة، لابد أن تكون على قدر كبير من الثقافة، والعلم، والأدب، والنباهة، والفطنة، وسرعة البديهة والجواب، فضلاً عن الجمال الذي هو سلاحها الأول. ومن هنا: أقبلت كثيرات منهن يتهافتن على أضواء الثقافة، وتنوعت العلوم التي تثقفن بها، ما بين: شعر، وكتابة، وخط، وغناء.

وقد برزت بعضهن في علوم معينة، كالخيزران التي اشتهرت في رواية الحديث، كما برزت عريب في الفصاحة، والبلاغة، فضلاً عن قول الشعر، والغناء، والضرب على العود، ورواية الأخبار والأشعار، لذا تنافس الأمراء والملوك على شرائها، والاحتفاظ بها، وما زالت تتنقل بها الحال، حتى اشتراها المأمون، وفي قصره بدأت عريب مرحلة جديدة من حياتها، فقد أحبها، وأغرم بها، وتردى في هواها، وهو أكثر الخلفاء العباسيين علماً، وثقافة، وأدباً، وفقهاً، ومن أجل هذا الحب الطاغي لقبت بعريب المأمونية، نسبة إلى المأمون (٢)

ومن منطلق هذه الشهرة الواسعة، كان اختياري لموضوع: " شعر عريب المأمونية جارية المأمون جمع ودراسة " فضلاً عن أمور أخرى عديدة دفعت إلى هذه الدراسة، وقادت القلم إليها، منها:

---

(١) ينظر: سلطة الجواري في العصر العباسي، د. ناهضة مطر حسن / ١١٥ (رسالة ماجستير مخطوطة – جامعة واسط – كلية التربية)

(٢) تجمع كتب الأدب على وصف عريب بالمأمونية، نسبة إلى المأمون، وأرى أن وصفها بالبرمكية – نسبة إلى البرامكة الذين هم آباؤها – أفضل، أخذاً من قول الله تعالى –:" ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ..... " من الآية: ٤، من سورة الأحزاب.

- خلو المكتبة الأدبية العربية – على حد علمي – من الدراسات الأدبية الجادة، التي تتجه إلى الشعر الذي نظمته الجواري في المشرق والمغرب، واستكشاف غرره، والبحث عن فرائده، وربما فُهم ذلك على أنه لون من التحامل عليهن، والتهميش لأدبهن.
- أن عريباً – على سبيل المثال – كان لها تأثير كبير في الشعر العربي، حيث إنها مثلت مصدراً من مصادر الإلهام لدى الشعراء، فضلاً عما قامت به من نتاج شعري، كان له طعمه، ومذاقه الخاص بين غيره من الأشعار.
- أن عريباً كان لها تأثيرها البالغ في الحياة السياسية في قصور الخلفاء، لا سيما عند المأمون، مما فسح المجال أمام المرأة، وأعطى انطباعاً عن قدرتها على القيام ببعض الشئون السياسية مثل الرجل.

وقد جعلت هذه الدراسة قائمة على: مقدمة، وأربعة مباحث وخاتمة، ثم فهرس للمصادر والمراجع، وآخر للموضوعات.

وقد جاء المبحث الأول، يحمل عنوان: أضواء على حياة عريب المأمونية.

والمبحث الثاني، يحمل عنوان: شعر عريب المأمونية... فنون وأغراض.

والمبحث الثالث، يحمل عنوان: خصائص فنية في شعر عريب المأمونية.

والمبحث الرابع، ويحمل عنوان: مجموع أشعار عريب المأمونية.

وقد توخيت – في عرضي لهذا الموضوع – السهولة واليسر، والإيجاز في العبارة، والقصد إلى الهدف من أقرب طريق.

والله يهدي إلى سواء السبيل

المبحث الأول

أضواء على حياة عريب المأمونية

أولاً: عريب: نسبها ونشأتها:

درجت كثير من كتب الأدب العربي على نسبة " عريب " (١) إلى " جعفر بن يحيى البرمكي " فقد جاء في الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني رواية عن إسماعيل بن الحسين خال المعتصم: أن " عريبا " ابنة لجعفر بن يحيى البرمكي (٢)، حيث كانت أمها ـ كما يقول أحمد بن إسماعيل المراكبي ـ تسمى " فاطمة " وهي جميلة مليحة، ذات حسن وبهاء، وكانت مجرد جارية مملوكة لزوجة يحيى البرمكي، فلما رآها " جعفر بن يحيى " تعلق قلبه بها من النظرة الأولى، لكن الجارية الصغيرة استعصت، حيث كانت تعرف مكانتها الضئيلة في البيت الكبير، فجزعت من هذا الحب غير المتكافئ، وما ينتج عنه من مصير محتوم، فتمنعت على " جعفر " فأوقد هذا التمنع شرارة العشق والصبابة في قلبه، ولما ازدادت موجة الحب الطاغي على قلبه، ذهب إلى أم عبد الله، صاحبة أمرها، وطلب منها: أن تزوجه " فاطمة " فوافقت، وأثمر هذا الزواج عن طفلة جميلة، ولدت في بغداد في قصور العباسيين سنة ١٨١هـ، وقد أسماها أبوها " عريباً " وسرعان ما علم " يحيى البرمكي " بالأمر، فأنكره، ولم يعترف بهذا الزواج، ونقم على ابنه بسبب فعلته الشنعاء، وقال له:

---

(١) كلمة "عريب" بفتح الأول، وكسر الثاني، وقد جاءت في الأغاني أشعار كثيرة تدل على هذا الضبط، منها قول عيسى بن عبد الله بن اسماعيل المراكبي:

قاتل الله عريباً فعلت فعلاً عجيباً

(٢) هو جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي، أبو الفضل ـ ولد عام ١٥٠هـ، كان وزيراً للرشيد، وهو أحد مشهوري البرامكة، وقد انقادت له الدولة، وكان كاتباً بليغاً، قتل عام ١٨٧هـ .

(العقد الفريد، أحمد بن عبد ربه، جـ ١ /٥٣، الطبعة الأولى، دار الإمام علي للطباعة والنشر ١٩٩٢م)

تتزوج بمن لا يعرف لها أم ولا أب ! اشتر مكانها ألف جارية، و قادته ثورته العارمة إلى أن يقسم على الانتقام من " فاطمة " أم عريب ؛ لتجرؤها على الزواج من أسيادها، ولم يستطع أحد أن يثنيه عن غضبه، فأخذ يضيق على فاطمة، ويضطهدها حتى ماتت، عندها أخذ " جعفر " ابنته، ووضعها ـ في دار في ناحية باب الأنبار(١) سراً من أبيه ـ عند امرأة نصرانية، وجعلها داية لها، ووكل بها من يحفظها سراً، على أن يتحمل نفقاتها، ثم دارت الأحداث، ووقعت مذبحة البرامكة أو نكبة البرامكة(٢) كما يسميها بعض المؤرخين.

ولما رأت المرأة النصرانية أنها والطفلة أصبحتا بلا معين، باعت "عريبا " إلى رجل اسمه " سُنبس "(٣) وباعها هذا الرجل إلى أحمد ابن عبد الله بن إسماعيل المراكبي (٤) الذي سافر بها إلى البصرة، وهناك أحضر لها أكبر

(١) الأنبار: مدينة معروفة بالعراق .

(٢) لم يراع البرامكة حق التكريم والفضل الذي أغدقه الخلفاء العباسيون عليهم، فاستأثروا بأموال الدولة، ودبروا لإزالة ملك الرشيد، ثم تبين له أنهم زنادقة يكيدون للإسلام سراً، ويحاولون إعادة المجوسية التي كان عليها أجدادهم، فعزم الرشيد على نكبتهم، وبدأ بقتل جعفر ليلاً قرب الأنبار ١٨٧هـ، ثم أحاط برجالهم فحبسهم حتى الموت في سجن الزنادقة، وأخذ دورهم وأموالهم . (يراجع):
الدولة العباسية، الشيخ محمد الخضري /١١٦، مكتبة الإيمان – المنصورة ٢٠٠٦م
الأنابيش، عبد الرحمن الضبع، جـ ٥ /٦٩، وما بعدها، الطبعة الأولى، مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع المنصورة ١٩٩٦م

(٣) أحد تجار الرقيق في العصر العباسي.

(٤) أحد تجار الجواري المشهورين في العصر العباسي، ولقب بالمراكبي لقيامه على شئون مراكب الرشيد من قوارب وسفن ودهبيات وملاحين وجنود .

المعلمين، فعلموها الخط، والنحو، والشعر، والغناء، وغير ذلك من العلوم والفنون، فبرعت في ذلك كله [1]

ويشير ابن المعتز إلى تأكيد نسبة " عريب " إلى جعفر بن يحيى البرمكي، فيقول: أخبرني يوسف بن يعقوب، قال: كنت إذا نظرت قدمي عريب شبهتهما بقدمي جعفر بن يحيى. قال: وسمعت من يحكي أن بلاغتها في كتابتها ذكرت لبعض الكتاب فقال: وما يمنعها من ذلك وهي ابنه جعفر بن يحيى البرمكي ؟

إذن فـ " عريب " ابنة لجعفر بن يحيى البرمكي، وقد تنقلت بها الحال بعد نكبة قومها حتى بيعت في سوق الرقيق، وأصبحت واحدة من الجواري المشهورات في العصر العباسي، وقد برعت في الغناء والطرب حتى تنافس الأمراء والملوك على شرائها، والاحتفاظ بها، فقد اشتراها المأمون بخمسين ألف درهم، وتعلق بها، وأحبها بعنف، حتى لقبت بعريب المأمونية، مما جعلها تستحق - بجدارة - أن توصف بأنها شادية البلاط الملكي.

وسوف نتحدث - إن شاء الله- بعد قليل عن علاقتها بالخلفاء العباسيين، وبغيرهم من جلسائها، ومعاصريها بشئ من التفصيل.

ثانياً: وصف عريب:

لعل قينة من القيان الشاعرات، لم تشغل أهل زمانها، من: خلفاء، ووزراء، وقواد، وعمال، وخدم، كما شغلتهم عريب المأمونية المغنية الشاعرة ؛ لأنها جمعت كل أخلاق القيان، وصفاتهن، وبلغت في ذلك مبلغاً لا يبارى.

---

(٥) **يراجع في كل ذلك:**

١- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني جـ ٢١ / ١٨٤ الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت .

٢- المحاسن والأضداد للجاحظ /١٩٧، طبعة ليدن ..

٣- نهاية الأرب في فنون الأدب، لشهاب الدين النويري جـ ٥ /٩٢، مطبعة الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٢٥م

٤- الأعلام، للزركلي جـ٤ /، ٢٢٧، طبعة دار العلم للملاين١٩٨٠م

وقد أفاضت كتب الأدب في وصفها وصفاً شاملاً، سواء ما يتصل منه بجمال الشكل والخلقة، أو بإتقان الغناء، والعلم بالشعر، والحكمة في الأمور.

ولعل شهادة إسحاق الموصلي تكون أبلغ من كل وصف في هذا الشأن، فقد قال حماد بن إسحاق الموصلي قال أبي: ما رأيت إمرأة قط أحسن وجهاً، وأدباً، وغناءً، وضرباً، ولعباً بالشطرنج، والنرد، من عريب، وما تشاء أن تجد خصلة حسنة طريفة بارعة في امرأة إلا وجدتها فيها (١)

ويذكر بعض نقاد الأدب في وصفها أيضاً: أنها كانت جميلة، فصيحة، شاعرة، عذبة الصوت، بارعة الضرب، ساحرة الإيقاع (٢)

ويذكر صاحب الأعـــلام عدداً من صفاتها فيقول: إنها كانت شاعرة مغنية، أديبة، من أعلام العارفات بصنعة الغناء، والضرب على العود.

ويذكر قول ابن وكيع: ما رأيت امرأة أضرب من عريب، ولا أحسن صنعة، ولا أحسن وجهاً، ولا أخف روحاً، ولا أحسن خطاباً، ولا أسرع جواباً، ولا ألعب بالشطرنج والنرد، ولا أجمع لخصلةٍ حسنة منها ويقال: إنها صنفت ألف صوت في الغناء، ولغنائها ديوان مفرد (٣) يجمع غناءها (٤)

وقد أورد الصولي لإبراهيم بن المدبر - أحد محبي عريب- قوله في وصفها:

هي شمس والنساء نجوم فإذا لاحت أفلن غيوباً (٥)

ولابن المدبر في عريب أيضاً:

فنعم الجليس ونعم الأنيس ونعم السمير ونعم السكن (٦)

وقال ابن المعتز: أخبرني يوسف بن يعقوب قال: كنت إذا نظرت قدمي عريب شبهتهما بقدمي جعفر بن يحيى (٧)

---

(١) يراجع: الأغاني، جـ ١٨ / ١٧٥ وما بعدها، ونهاية الأرب جـ ٥ / ٩٥.

(٢) يراجع: الشعر والشعراء في العصر العباسي د. مصطفى الشكعة/ ٤٧٥ دار العلم للملايين – بيروت

(٣) الأعلام، الزركلي، جـ ٤/٢٢٧،٢٢٨ .

(٤) جمعه "علي بن يحيى " بأمر من المعتمد على الله .

(٥) البيت من المديد

(٦) الأغاني، جـ ٢٢ / ١٨٢، والبيت من المتقارب .

(٧) نهاية الأرب، جـ٥ / ٩٤.

ومما ورد في وصف ما كانت تعيش فيه عريب من أبهة وترف في ظل خلفاء بني العباس: قول بدعة إحدى جواريها (١): كنا ننتظر يوم حمّامها، عندما تفك جدائل شعرها الطويل، وتغسلها، ولم تكن تفعل ذلك إلا من الجمعة إلى الجمعة، وطوال أيام الأسبوع تغلفه بستين مثقالاً من المسك والعنبر، فإذا غسلته، جددت غيره، وكنا نقتسم غسالة رأسها بالقوارير، وما تسرحه منه بالميزان (٢).

ومما تقدم من أوصاف لـ " عريب "مما جاء ذكره على ألسنة أرباب الأدب، ندرك مقدار ما كانت تتمتع به من جمال في الشكل والخلقة، وجمال في العلم والأدب.

وهذه الأوصاف التي سبق ذكرها، سواء منها ما يتصل بجمال المنظر، وبهاء الطلعة، أو ما يتصل بعلمها، وأدبها، وروعة فنها، كلها أوصاف ضرورية يجب أن تتوفر في كل جارية تسكن قصور الخلفاء، وتغشي مجالسهم، وتحضر لياليهم وأسمارهم.

ولذا كانت جواري القصور يخترن بدقة وعناية فائقة، وكلما كانت الجارية جميلة حسنة رقيقة مثقفة، كانت أملك لقلب سيدها، وبقدر ما فيها من تلك المزايا تكون قيمتها (٣)

وبهذا الجمال والجلال والإبهار أصبت "عريب" واحدة من أهم الجواري اللائي شغلن المجتمع العباسي، وسيطرن على تفكير كثير من الخلفاء والشعراء ؛ بما كانت تملكه من موهبة فنية في نظم الشعر، ورواية الأخبار والأشعار، وحسن المجالسة والمؤانسة، وطبعي في ربات الحسن والجمال، وحائزات الأدب والحكمة، أن يكن نافذات الكلمة في قصور الخلفاء

---

(١) كان لعريب عدد من الجواري يقمن على خدمتها، منهن: بدعة، ومها، وتحفة .

(٢) يراجع:

١- شخصيات حيه من الأغاني، د. محمد المنسي قنديل / ٢٣٥، طـ١، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩١م

٢- نهاية الأرب، جـ ١٠٧/٥

(٣) يراجع: الرؤية الذاتية في شعر المرأة الأندلسية، فوزية عبد الله العقيلي / ٤٦، ٤٧ (رسالة ماجستير مخطوطة في جامعة أم القرى ـ ١٤٢١ هـ)

؛ لأن الجمال قوة، والحب سلاح، لذا فكثيراً ما شُغل بهن الخلفاء والأمراء عن رعاية الملك، وتدبير أمر الرعية، لا سيما المغنيات منهن، كما سيأتي الحديث عن ذلك في موضعه.

ثالثاً: أخبارها مع خلفاء بني العباس، وبعض شعرها فيهم:

يفيض كتاب الأغاني، ونهاية الأرب، وغيرهما من كتب الأدب بذكر أخبار عريب المأمونية مع من اتصلت به من خلفاء بني العباس، حيث كان لها في حياتهم دور مهم، وتأثير بالغ.

ولعل أول هؤلاء الخلفاء: **محمد الأمين** الذي تولى الخلافة ما بين عامي ١٩٣ و١٩٨ م، ويذكر النويري :أن الأمين حين بلغه خـــبر عريب، بعث من يأتيه بها، وكان الأمين قد طلبها من قبل من أبيه فلم يجبه إلى ذلك، فلما أفضت إليه الخلافة، جاء المراكبي ومحمد الأمين راكب ليقبل يده، فأمر بمنعه ودفعه، ففعل ذلك الشاكري – القائم على خدمة الخليفة - فضربه المراكبي وقال: أتمنعني من تقبيل يد مولاي ؟ فجاء الشاكري لما نزل محمد الأمين فشكاه، فأمر الأمين بإحضار المراكبي، ثم أمر بضرب عنقه، فسئل في أمره، فعفا عنه، وحبسه، وطالبه بخمسمائة ألف درهم مما اقتطعه من نفقات الكراع (١) وبعث فأخذ عريباً من منزله مع خدم كانوا له، فلما قتل محمد الأمين، هربت عريب إلى المراكبي فكانت عنده.

قال إسحاق بن ابراهيم: لما نُمى إلى الأمين خبر عريب بعث في إحضارها، وإحضار مولاها، فأحضرا، فغنت بحضرة ابراهيم بن المهدي، فطرب الأمين واستعادها، وقال لإبراهيم: كيف سمعت ؟ قال سمعت يا سيدي حسناً، وإن تطاولت بها الأيام، وسكن روعها، ازداد غناؤها حسناً وطيباً، فقال الأمين للفضل بن الربيع: خذها إليك، وساوم بها، ففعل، فاشتط مولاها في السوم، ثم **أوجبها له بمائة ألف درهم، وانقضى أمر الأمين، وشغل عنها**، فلم يأمر لمولاها بشئ، حتى قتل بعد أن افتضها، فرجعت إلى مولاها المراكبي (٢)

---

(١) الكراع: اسم يجمع الخيل والسلاح .

(٢) يراجع: الأغاني جـ ١٨ / ١٧٥، وما بعدها، ونهاية الأرب جـ ٩٦/٥ وما بعدها.

ومن الخلفاء العباسيين الذين كانت لهم صلة قوية وحميمة بعريب: الخليفة **المأمون** * الذي حكم ما بين عامي ١٩٨ – ٢١٨ هـ بعد قتل الخليفة الأمين، ظلت عريب في بيت مولاها عبد الله إسماعيل المعروف بالمراكبي فاشتراها المأمون بخمسين ألف درهم، وقيل: اشتراها بخمسة آلاف درهم، ودعا مولاها المراكبي، وقال له: لولا أني حلفت ألا أشتري مملوكاً بأكثر من هذا لزدتك، ولكني سأوليك عملاً تكسب فيه أضعاف هذا الثمن، ورمى إليه بخاتمين من ياقوت أحمر، قيمتهما ألف دينار، وخلع عليه خلعاً سنية، فقال: يا أمير المؤمنين، إنما ينتفع بهذا الأحياء، وأما أنا فإني لا محالة ميت ؛ لأن هذه الجارية كانت حياتي، وخرج فاختلط وتغير عقله، ومات بعد أربعين يوماً، وذهبت عريب بالمأمون كل مذهب ميلاً إليها، ومحبة لها، حتى قيل:إن المأمون قبل رجلها في بعض الأيام، وإنها قالت إثر ذلك: والله يا أمير المؤمنين، لولا ما شرفها الله به من وضع فمك الكريم عليها لقطعتها !ولكن لله عليّ ألا أغسلها لغير وضوء أو طهر إلا بماء الورد ما عشت، فكانت تفعل ذلك إلى أن ماتت (١)

بل إن عريباً راحت تتفنن في غواية المأمون، بعد أن نفذت إلى أغوار مشاعره، حتى وقع في حبها وغرامها، وهو العظيم ذو الجاه والسلطان، والقوة والعزم، وأكثر خلفاء بني العباس علماً، وثقافة، وأدباً، وفقهاً، كما يشهد بذلك التاريخ، ومع ذلك كله تردى في هوى جاريته عريب، حتى تخلى

• هو عبدالله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور، سابع الخلفاء العباسيين، تولى الخلافة بعد خلع أخيه الأمين سنة ١٩٨هـ، وفي عهده قامت نهضة علمية عظيمة، توفي في بندنوب، ودفن في طرسوس ٢١٨هـ (الأعلام جـ١٤٢/٤)

(١) ينظر: نهاية الأرب، جـ ٥ / ٩٧ وما بعدها .

عن وقاره، وقبل يوماً قدميها على رؤوس الأشهاد، وبسبب هذا الغرام العنيف لقبت بـ " عريب المأمونية " نسبة إلى الخليفة المأمون. (١)

ومن شعرها فيه: أنه لما أراد الخروج إلى بلاد الروم، وهمَّ ليلبس درعه، خطرت بباله، فأمر بإحضارها إليه، فلما رآها، أعجب بها وأعجبت به، فقالت له ما هذا ؟ قال: أريد الخروج إلى بلاد الروم، فبكت، ثم أنشأت في لحظتها تقول:

سأدعو دعوة المضطر رباً يثبت على الدعاء ويستجيب
لعل الله أن يكفيك حـــــرباً ويجمعنا كما تهوى القلوب (٢)

ومن أخبارها معه ـ أيضاً ـ ما يروى عن أحمد بن أبي دؤاد: أنه جرى بين المأمون وبين عريب كلام، فكلمها المأمون بشئ غـضبت منه، فهجرته أياماً، فدخلتُ يعني ـ أحمد بن أبي دؤاد ـ على المأمون فقال: يا أحمد، اقض بيننا، فقالت عريب: لا حاجة لي في قضائه ودخوله بيننا، وأنشأت تقول:

ونخلط الهجر بالوصال ولا يدخل في الصلح بيننا أحد (٣)

إلى هذا الحد تبلغ قوة العلاقة بين المأمون وجاريته عريب، مما جعلها تذهب مذهباً بعيداً في جـــرأتها عليه، فيكون منها الغضب، والهجر، والقطيعة، لاسيما إذا عرفنا أنها كانت ذات طبيعة حرون.

وبعد وفاة المأمون في سنة ٢١٨هـ الموافق ٨٣٣ م اشتراها المعتصم- الذي كانت خلافته ما بين عامي ٢١٨ – ٢٢٧م- بمائة ألف درهم.

ومن الشخصيات المهمة التي أحبتها عريب، وتعلقت بها من بني العباس: أبو عيسى بن الرشيد أخو المأمون، وكان المثل يضرب بحسنه

---

(١) ينظر: نساء الخلفاء المسمى:جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء، الخازن البغدادي تحقيق وتعليق د. مصطفى جواد / ٥٥، طبعة دار المعارف بمصر ـ القاهرة

(٢) مصارع العشاق، لأبي محمد جعفر بن أحمد السراج القارئ جـ ٢ /١٥٧، دار صادر ـ بيروت، والبيت من الوافر

(٣) نهاية الأرب، جـ٥ / ١٠٣ والبيت من المنسرح.

وحسن غنائه، وكانت تزعم أنها ما عشقت أحداً من بني هاشم وأصفته من الخلفاء وأولادهم سواه (١)

أما عن أخبارها مع **الواثق**، الذي كانت خلافته ما بين عامي (٢٢٧، ٢٣٢ هـ)

فقد حدث علي بن شاذان الكاتب قال: قالت عريب جارية المأمون (٢):

كنت مع الواثق، وهو يطوف على حجر جواريه عند خروجه إلى الأنبار متنزهاً، فدخل إلى فريدة، وهي جارية كان يحبها حباً جماً، وكان يهوى أيضاً وصيفة لها، لم يكن يعلم بذلك غيرى، فلما رأته عند مولاتها، دخلت خزانتها، وخرجت، وقامت على رأس فريدة، وعلى رأسها عصابة مكتوب عليها بالذهب:

عيني تبكي حذر البين ما أسخن الفرقة للعين
لم أر في الحب ولوعاته أوجع من فرقة إلفين (٣)

فقال لي الواثق: فهمت يا عريب ؟ قلت: نعم يا سيدي، فكتب على الأرض بقضيب (٤) كان في يده:

ظهر الهوى وتهتكت أستاره والحب خير سبيله إظهاره
فاعص العواذل في هواك مجاهراً فألد عيش المستهام جهاره

فحفظت الأبيات، وتضاحكنا، ففطنت فريدة (٥) فقالت: يا سيدي، علمت ما أنتما فيه، فامنن على أمتك بقبولها، فقال الواثق: قد فعلت، خذيها

---

(١) السابق، جـ ٥ / ١٠٣

(٢) ينظر: نساء الخلفاء المسمى:جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء / ٦١، ٦٢ .

(٣) البيتان من البسيط

(٤) القضيب: غصن من الشجر: أو: السيف اللطيف الدقيق (اللسان، جـ١ / ٦٧٨وما بعدها، مادة قضب) والبيتان من الكامل

(٥) ورت أخبارها في الأغاني جـ٤/ ١١٣ – ١١٩، طبعة دار الكتب المصرية

إليك يا عريب، فأخذت بيدها، فما ملك نفسه أن انصرف من خلفي مسرعاً، وخلا بها، وأمر لي بألف دينار.

ويذكر النويري: ما يدل على أن عريبا كان لها دلال على الواثق لا ينتهي، يقول: كانت عريب تكايد الواثق، فيما يصوغه من الألحان، وتصوغ في ذلك الشعر تغنيه، لحناً فيكون أجود من لحنه (١)

هذا، ولم تزل عريب مبجلة عند خلفاء بني العباس، محبوبة إليهم، مكرمة لديهم، حتى أدار لها الدهر ظهر المجن، وأذاقها من مرارته وغصصه، وذلك حين غضب عليها كل من: المعتصم والواثق، وانحرفا عنها، وكان سبب ذلك: أن المعتصم وجد لها كتاباً إلى العباس ابن المأمون ببلد الروم تقول فيه: اقتل أنت العلج حتى أقتل أنا الأعور الليلي هاهنا، تعني: الواثق و، كان المعتصم استخلفه ببغداد.

يقول شهاب الدين النويري معلقاً على هذا الصنيع: ولعمري إن هذا من الأمور العظيمة، التي لا تحتمل من الأولاد والأخوة، فكيف من أمةٍ مغنيةٍ ! ولو لم تكن لها عندهم المكانة العظمى، والمحل الكبير لما، أبقوها بعد الإطلاع من باطن حالها على هذه الطوية (٢) المنكرة.

رابعاً: أخبارها مع بعض جلسائها ومعاصريها:

تفيض كتب الأدب بأخبار وحكايات عديدة، عن عريب مع أهل زمانها، كالحديث عن أخبارها مع من ملكها، ومن عشقها، ومن كانت له بها صلة، من مثل الوصيفات اللائي اتخذتهن عريب لخدمتها، كما سبق أن أشرت.

أخبارها مع **عبد الله بن إسماعيل المعروف بالمراكبي**:

ذكرت – من قبل – أن عريباً حين أخذت من بيت البرامكة بعد نكبتهم بيعت إلى أحد النخاسين، وهو سنبس، وباعها سنبس هذا إلى المراكبي، وقلنا: إن المراكبي سافر بها إلى البصرة، وأنه علمها وهذبها وثقفها وأخرجها

(١) نهاية الأرب، جـ٥ / ١٠٣

(٢) ينظر: نهاية الأرب، جـ٥ / ١٠٣

إخراجاً جيداً، حتى برعت في ذلك كله، وأتقنت صنعة الغناء، والضرب على الأوتار، وتزايدت حتى نظمت الشعر.

وكان لمولاها المراكبي صديق يقال له: **حاتم بن عدي** من قواد خراسان، وكان مولاها يدعوه كثيراً ويخالطه، فركبه دين فاسترعنه، فمد عينه إلى عريب، وكاتبها، فأجابته، ودامت المواصلة بينهما وعشقته، ثم انتقل من منزل مولاها، فلم تزل تحتال حتى أتخذت سلماً من خيوط غلاظ، ثم لفت ثيابها وجعلتها في فراشها بالليل، ودثرتها بدثارها، ثم تسورت الحائط وهربت، وأتته فمكثت عنده (١) ومولاها لا يتهمه بشئ من أمرها (٢).

وفي ذلك يقول عيسى بن عبد الله بن إسماعيل المراكبي يهجو أباه ويعيره بها، وكان كثيراً ما يهجوه (٣):

قاتل الله عريباً فعلت فعلاً عجيباً

ركبت والليل داجٍ مركباً صعباً مهيباً

فارتقت متصلا بالنجم أو منه قريباً

صبرت حتى إذا ما أقصد النوم الرقيبا

مثلت بين حشايا ها لكي لا تستريبا

خلفاً منها إذا نو دي لم تلق مجيباً

فتدلت لمحبٍ فـــتلقاها حبيباً

(١) هذا الفعل ليس بمستنكر على كثير من الجواري ممن لم يعرفن بحسن السمعة مثل عريب .

(٢) هذه غفلة، وسذاجة مفرطة من الرجل .

(٣) الأبيات من الرمل

جذلاً قد نال في الدنيا من الدنيا نصيباً

أيها الظبي الذي تسحر عيناه القلوبا

والذي يأكل بعضا بعضه حسناً وطيباً

كنت نهبا لذئاب فلقد أطمعت ذيبا

وكذا الشاة إذا لم يك راعيها لبيباً

لا يبالي وبأ المرعى إذا كان خصيبا

ولقد أصبح عبد الله كشخاناً (١) حريبا(٢)

قد لعمري لطم الخد وقد شق الجيوبا

وجرت منه دموع بلت الزقن الخضيبا (٣)

(١) الكشخان: الديوث، وهو دخيل في كلام العرب (اللسان،جـ٣ / ٤٩ مادة: كشخ)

(٢) الحريب: من سلبت حريبته، وحريبة الرجل: ما له الذي يعيش به (اللسان جـ١ ٣٠٣، ٣٠٤، مادة: حرب)

(٣) يراجع الخبر كاملاً في: الأغاني، جـ١٨/ ١٧٥ وما بعدها، ونهاية الأرب، جـ٥ / ٩٤،٩٥

قال ابن المعتز (١): حدثني محمد بن موسى بن يونس أنها – أي عريب – ملت المراكبي – بعد ذلك – فهربت منه، فكانت تغني عند أقوام عرفتهم ببغداد، وهي مستترة متخفية، فلما كان يوم من الأيام، اجتاز ابن أخي المراكبي ببستان كانت فيه مع قوم تغني، فسمع غناءها فعرفه، فبعث إلى عمه، وأقام هو مكانه، فلم يبرح حتى جاء عمه، وكبسها، فأخذها وضربها مائة مقرعة، وهي تصيح: يا هذا، لم تقتلني ؟ لست أصبر عليك، أنا امرأة حرة، فإن كنت مملوكة فبعني، لست أصبر على الضيق، فلما كان من الغد ندم على فعله، وصار إليها فقبل رأسها ويدها ورجلها، ووهب لها عشرة آلاف درهم (٢).

أخبارها مع **محمد بن حامد الخاقاني**:

لعريب أخبار طوال، وحكايات مثيرة مع محمد بن حامد، وهو أحد من كانت تعشقه وتهواه، وتخاطر بنفسها في الاجتماع به، وكان أشقر أصهب الشعر، أزرق العينين، جميلاً.

ومن هذه الأخبار: ما روي عن ابن عبد الملك الضرير (٣) أنها لما صارت في دار المأمون، احتالت حتى وصلت إليه، وكانت تلقاه في الوقت بعد الوقت، حتى حملت منه، وولدت بنتاً، فبلغ ذلك المأمون فزوجه إياها.

ومن شعر عريب تتغزل فيه وفي شقرته كما لو كان امرأة جميلة:

بأبي كل أزرق أصهب اللون أشقر
جن قلبي به وليس جنوني بمنكر (٤)

وقال محمد بن عيسى الواثقي (٥) قال لي محمد بن حامد ليلةً: أحب أن تفرغ لي مضربك فإني أريد أن أجيئك فأقيم عندك، ففعلتُ، وأتاني فلما جلس جاءت عريب، فدخلتْ وجلسنا، فجعل محمد يعاتبها، ويقول فعلت كذا وفعلت كذا، فقالت: يا محمد، هذا عندك رأي ؟ ثم قالت: يا عاجز خذ بنا فيما نحن فيه،

---

(١) ينظر:نهاية الأرب، جـ٥ /٩٥، ٩٦

(٢) لا ينكر هذا التصرف على المراكبي، فقد مر بنا أنه زعم أنها حياته وسلواه، لذا لم يبق بعد أن اشتراها المأمون منه سوى أربعين يوماً ثم فارق الحياة.

(٣) ينظر: نهاية الأرب، جـ٥ /٩٩، والشعر والشعراء في العصر العباسي / ٤٧٧، ٤٧٨

(٤) البيتان من الخفيف المجزوء

(٥) ينظر: الأغاني، جـ١٨ /١٧٥ وما بعدها، ونهاية الأرب جـ٥ /١٠١

واجعل سراويلي مخنقتي، وألصق خلخالي بقرطي، فإذا كان غد فاكتب بعتابك في طومار (١) حتى أكتب إليك بعذري في مثله ودع عنك هذا الفضول، فقد قال الشاعر:

دعي عد الذنوب إذا التقينا تعالى لا نعد ولا تعدي
فأقسم لو هممت بمد شعري إلى باب الجحيم لقلت:مدي (٢)

وهذه الحكاية تؤكد ما ذهب إليه الدكتور مصطفى الشكعة من أن عريباً كانت من الجواري اللائي لم يعرفن بحسن السمعة والاستقامة، وإنما كانت تتبع سبل الغواية، وتجنح إلى مزالق الانحراف (٣)

ومن أخبارها معه – أيضاً – ما جاء في قول أحمد بن حمدون: وقع بين عريب وبين محمد بن حامد شر حتى كادا يخرجان إلى القطيعة، وكان في قلبها منه أكثر مما في قلبه منها، فلقيته يوماً فقالت: كيف قلبك يا محمد ؟ قال: أشقى ما كان وأقرحه: فقالت: استبدل تسل، فقال لها: لو كانت البلوى باختيار لفعلت ! فقالت: لقد طال إذا تعبك، فقال: وما يكون أصبر مكرها ! أما سمعت قول العباس بن الأحنف:

تعب يطول مع الرجاء لذي الهوى خير له من راحة في اليأس
لولا كرامتكم لما عاتبتكم ولكنتم عندي كبعض الناس (٤)

قال: فذرفت عيناها، واعتذرت إليه، وعانقته، واصطلحا، وعادا إلى ما كانا عليه (٥)

وحكى أحمد بن جعفر بن حامد (ابن أخي محمد بن حامد) قال: لما توفى عمي محمد بن حامد، صار جدي إلى منزله، فنظر إلى تركته، وجعل

(١) الطومار: الصحيفة، وهو من الدخيل وقيل عربي محض (اللسان، جـ٤ / ٥٠٣، مادة طمر)
(٢) البيتان من الوافر التام.
(٣) ينظر: الشعر والشعراء في العصر العباسي / ٤٨٠
(٤) البيتان من الكامل
(٥) ينظر: نهاية الأرب في فنون الأدب / ١٠١

يقلب ما خلف، ويخرج إليه منها الشئ بعد الشئ، إلى أن أخرج إليه سفط (١) مختوم، ففض الخاتم وفتحه، فإذا فيه رقاع عريب إليه، فجعل يتصفحها ويبتسم، فوقعت في يده رقعة فقرأها، ووضعها بين يديه، وقام لحاجته، فقرأتها، فإذا فيها:

ويلي عليك ومنكا	أوقعت في الحق شكاً
زعمت أني خؤون	جوراً علي وإفكا
إن كان ما قلت حقاً	أو كنت أزعمت تركاً
فأبدل الله ما بي	من ذلة الحب نسكاً

قال: وهذا الشعر لعريب (٢)

ومن أخبارها مع **صالح المنذري الخادم**:

ما رواه أحمد بن أبي دؤاد قال:ــ كانت عريب تتعشق صالحاً المنذري الخادم، فتزوجته سراً، ويحكى أن بعض الجواري دخلت على عريب يوماً فقالت لها عريب: ويحك تعالي إليّ، فجاءت، فقالت: قبليّ هذا الموضع مني، فإنك تجدين ريح الجنة، وأومأت إلى سالفتها (٣) ففعلت ثم قالت لها: ما السبب في هذا ؟ قالت: قبلني الساعة صالح المنذري في هذا الموضع. وقد حدث أن وجهه المتوكل ذات يوم إلى مكان بعيد في حاجة فقالت عريب فيه:

أما الحبيب فقد مضى	بالرغم مني لا الرضا
أخطأت في تركي لمن	لم ألق عنه عوضاً (٤)

(١) السفط: وعاء يعبأ فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء (اللسان، جـ٧ / ٣١٥، مادة: سفط

(٢) ينظر: نهاية الأرب / ١٠١، ١٠٢ والأبيات من المجتث .

(٣) السالفة: أعلى العنق من ناحية معلق القرط إلى الترقوة (اللسان جـ٩ /١٥٩، مادة: سلف

(٤) ينظر: الأغاني جـ٢٢ /١٨٤ وما بعدها والبيتان من الكامل

أخبارها مع **إبراهيم بن المدبر**:

كانت عريب تهوى إبراهيم بن المدبر ويهواها، ولها معه أخبار وحكايات كثيرة، وبينهما أشعار وفكاهات كما يذكر النويري (١)

ومن مكاتباتها إليه: ما روي عن ابن المعتز قال: كتبت عريب تدعو لإبراهيم بن المدبر في شهر رمضان تقول: أفديك بسمعي وبصري، وأهل الله عليك هذا الشهر باليمن والمغفرة، وأعانك على المفترض منه والمتنفل، وبلغك مثله أعواماً، وفرج عني وعنك فيه.

وكتبت في شئ بلغها عنه تقول: وهب الله لنا بقاءك ممتعا بالنعم، مازلت أمسِ في ذكرك، فمرة بمدحك، ومرة بأكلك، وبذكرك، بما فيك لوناً لوناً، اجحد ذنبك الآن، وهات حجج الكُتّاب ونفاقهم، فأما خبرنا أمس فإنا شربنا من فضل نبيذك على تذكارك رطلاً، وقد رفعنا حسابنا إليك فارفع حسابك إلينا، وخبرنا من زارك أمس وألهاك ؟ وأي شئ كانت القصة على جهتها ؟ ولا تخطرف (٢) فتحوجنا إلى كشفك، والبحث عليك وعن حالك، وقل الحق، فمن صدق نجا..... الخ

وفي هذا النثر الذي كتبته عريب لابن المدبر تبدو حنكتها وقدرتها على الكتابة في هذا اللون، وإن بدا الأسلوب ضحلاً وسطحياً.

ولما نكب عبدُ الله بنُ يحيى بنُ خاقان ابنَ المدبر وحبسه، كتبت عريب إليه كتاباً تتشوقه وتخبره استيحاشها له، واهتمامها بأمره، وأنها قد سألت الخليفة في أمره فوعدها ما تحب، فأجابها عن كتابها، وكتب في آخر الجواب:

لعمرك ما صوت بديع لمعبد	بأحسن عندي من كتاب عريب
تأملت في أثنائه خط كاتب	ورقة مشتاق ولفظ خطيب
وراجعني من وصلها ما استفزني	وزهدني في وصل كل حبيب

(١) نهاية الأرب جـ٥ /١٠٤ وما بعده،

(٢) ولا تخطرف: لا تتوسع في الكلام (اللسان جـ٩ / ٧٩، مادة خطرف)

فصرت لها عبداً مقراً بملكها ومستمسكاً من ودها بنصيب (١)

وقال أبو عبد الله بن حمدون: اجتمعت أنا وإبراهيم بن المدبر وابن ميادة والقاسم بن زرزر في بستان بالمطيرة في يوم غيمٍ ورذاذ (٢) يقطر أحسن قطر، ونحن في أطيب عيش، وأحسن يوم، فلم نشعر إلا بعريب قد أقبلت من بعيد، فوثب إبراهيم من بيننا، فخرج حافياً حتى تلقاها، وأخذ بركابها حتى نزلت، وقبل الأرض بين يديها، وكانت قد هجرته مدةً لشئ قد أنكرته عليه، فجاءت وجلست، وأقبلت عليه مبتسمة، ثم قالت: إنما جئت إلى من هاهنا لا إليك، فاعتذر، وشفعنا له، فرضيت، وأقامت عندنا يومئذ، وباتت، واصطبحنا من غدٍ، وأقامت عندنا فقال إبراهيم بن المدبر فيها:

ألا يا عريب وقيت الردى وجنبك الله صرف الزمن
فإنك أصبحت زين النساء وواحدة الناس في كل فن
فقربك يدني لـذيذ الحياة وبعدك ينفي لـذيذ الوسن
فنعم الأنيس ونعم الجليس ونعم السمير ونعم السكن (٣)

أخبارها مع **" بنان " المغني**:*

لعريب أخبار كثيرة مع " بنان " المغني، ولها معه طرف وملح، منها: ما أورده علي بن الجهم في قوله (٤): دخلتُ يوماً على عريب مسلماً عليها، فلما جلست هطلت السماء بمطر عظيم، فقالت: أقم عندي اليوم، حتى أغنيك أنا وجواري، وابعث إلى من أحببت من إخوانك، فأمرتُ بدوابيّ فرُدّت، وجلسنا نتحدث، فسألتني عن خبرنا بالأمس في مجلس الخليفة، ومن كان يغنينا، وأي

---

(١) الأبيات من الطويل .

(٢) الرذاذ: المطر الخفيف الذي يشبه الغبار (اللسان، جـ٣ / ٤٩٢، مادة: رذاذ)

(٣) الأبيات من المتقارب .

- هو بُنان بن عمرو، مغني المتوكل، كان من أمهر العازفين على العود، ومن أشهر المغنيين في عصره، وكان المتوكل لا يشرب إلا على سماعه، وهو ينطق بفتح الباء وضمها، والضم أظهر (يراجع ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، للثعالبي، ت محمد أبو الفضل /١٥٥، طبعة دار المعارف ١٩٨٥م)

(٤). الأغاني، جـ١٨ / ١٨٧، ١٨٨

شئ استحسناه من الغناء ؟ فأخبرتها أن صوت الخليفة كان لحناً صنعه المغنى " بنان " فقالت: وما هو ؟ فقلت:

تجافي ثم تنطبق جفون كلها الأرق
وذي كلف بكى جزعا وسَفْرُ القوم منطلق
به قلق يململه وكان وما به قلق
جوانحه على خطر بنار الشوق تحترق (١)

فوجهتْ رسولاً إلى بنان، فحضر وقد بلته السماء، فأمرت بخلع فاخرة فخلعت عليه، وقدم له طعام، فأكل وجلس يشرب معنا، فسألته عن الصوت فغناها إياه، فأخذت دواة ورقعة، وكتبت على البديهة تصف المجلس والطعام والشراب:

أجاب الوابل الغدق وصاح النرجس الغرق
وقد غنى بنان لنا جفون حشوها الأرق
فهاك الكأسَ مترعةً كأن حَبَابها (٢) حدق (٣)

قال: فما شربنا بقية يومنا إلا على هذه الأبيات.

و لعريب أخبار كثيرة مع **جواريها** منها: ما أورده العُبيس بن حمدون قال: غضبت عريب على بعض جواريها، فجئت إليها، وسألتها أن تعفو عنها، فقالت: في بعض ما تقوله مما يعتد به عليها من ذنوبها، يا أبا العباس، إن كنتَ تشتهي أن ترى زناي، وصفاقة وجهي، وجرأتي على كل عظيمة أيام شبابي(٤) فانظر إليها، واعرف أخبارها (٥)

---

(١) الأبيات من مجزوء الوافر .

(٢) الحباب: حباب الماء: موجه الذي يتبع بعضه بعضاً (اللسان، جـ١ / ٢٩٥، مادة حبب)

(٣) الأبيات من مجزوء الوافر.

(٤) في كلام عريب – هنا – اعتراف صريح بجنوحها نحو الرذيلة، وسلوكها طريقاً معوجاً في أيام شبابها، وهو أمر ليس بغريب على أخلاق كثير من الجواري، وإنكار ذلك على جاريتها لون من الاعتراف بخطأ المسلك، وبشاعة التصرف .

(٥) ينظر الخبر في: نهاية الأرب، جـ٥/ ١٠٧

قال: وكانت – أي عريب - في شبابها يقدم إليها البرذون (١) فتطفر (٢) عليه بلا ركاب(٣)

وبعد هذا السرد الذي طوفنا به حول أخبار عريب مع أهل زمانها، يتساءل الإنسان: كيف استطاعت هذه الجارية أن تستأثر بقلوب هذا العدد من خلفاء بني العباس، ابتداء من الأمين ثم المأمون، ثم المعتصم، ثم الواثق، ثم المتوكل، ثم المعتز، ولها مع كل واحد من هؤلاء الخلفاء أخبار، أكثرها بطبيعة الحال مما لا يلتقي مع الفضيلة في شيء، هذا فضلا عن أبناء الخلفاء من أمثال: عيسى بن الرشيد، وجعفر بن المأمون، وإن كانت قد فضلت أبا عيسى بن الرشيد على جميع إخوته وأبنائهم، وكانوا جميعاً من الخلفاء (٤)

وقد يتساءل الإنسان أيضاً: كيف يمكن لمثل هذه القينة أن تفتن هذا العدد الكبير من ملوك بني العباس الذين احتل حكمهم حقبة زمنية طويلة ؟ والواقع يشهد أن الأمر صحيح ؛ ذلك أن عريباً كانت تملك من وسائل الفتنة والسيطرة الكثير، كما أن عمرها الذي امتد حتى بلغ سبعاً وتسعين سنة، قد أعطاها مساحة واسعة لتعيش حياة المجون، والخلاعة، والإباحية المطلقة لفترات طويلة، فقد كانت تلقي بشباكها على من أرادت، فإن ملته بحثت عن غيره في غير اكتراث.

ولقد ذكرت هي نفسها كيف كان الخاصة يتهافتون عليها، ويجتهدون في التقرب إليها، ومن ذلك أنها طلبت من اليزيدي – أحد رجال المأمون – أن ينشدها بعض الشعر في أحد أسفارها مع المأمون، فأنشدها:

ماذا بقلبي من دوام الخفق إذا رأيت لمعــان البرق
مـن قبلِ الأردنِ أو دمشقِ لأن من أهوى بذاك الأفق (٥)

---

(١) البرذون: الفرس غير العربي (اللسان، جـ١٣ / ٥١ مادة برذن)

(٢) الطفر: الوثوب إلى أعلى (اللسان، جـ٤ / ٥٠١ ن مادة: طفر)

(٣) وهو سلوك مستهجن لا يأتي به سوى الجواري اللائي رفعن عن وجوههن برقع الحياء، وطرحن الفضائل جانباً

(٤) يراجع: الأغاني، ١٨ /١٨٤ . الشعر والشعراء في العصر العباسي/ ٤٧٦

(٥) الأبيات من الرجز التام

فما إن سمعت هذا الشعر حتى تنفست تنفساً كادت ضلوعها تخرج معه، فقال لها: هذا والله تنفس عاشق ! فقالت له: اسكت يا عاجز، أنا أعشق ؟ والله لقد نظرت نظرة مريبة في مجلس فادعاها عشرون رئيساً ظريفاً (١) وهي القائلة: لقد ظللت أُعشق حتى النهاية (٢)

وعلى هذا النحو: كانت الجواري والقيان في العصر العباسي من العوامل الفاعلة في انتشار الظرف والرقة، وبذلك رقت المشاعر والأحاسيس، ودقت الأذواق، وأرهفت إرهافاً شديداً (٣)

وإلى هنا، نمسك ونكتفي بما ذكرناه من بعض أخبارها مع خلفاء بني العباس وأبنائهم، ومع بعض جلسائها ومعاصريها من الشخصيات المهمة في الدولة ؛ إيثاراً للإيجاز، ونفياً للفضول.

ومن أراد المزيد، فليرجع إلى: الأغاني، ونهاية الأرب، وإلى ديوان عبد الله بن المعتز الذي جمع فيه أخبارها باستفاضة، وما ذكرته – هنا – إنما هو غيض من فيض.

خامساً: وفاتها:

بعد حياةٍ مديدةٍ عاشتها عريب، كان لابد من النهاية المحتومة، وهي الموت ومفارقة الحياة.

وقد جاء في تاريخ وفاتها: ما ذكره عبيد الله بن أحمد بن أبي طاهر، قال: عريب جارية المأمون توفيت في شهر ربيع الآخر، سنة سبع وسبعين ومائتين.

وذكر غيره أن وفاتها كانت بسُرّ مَنْ رأي *عن ست وتسعين سنة، لأن مولدها كان في سنة إحدى وثمانين ومائة (٤).

---

(١) الأغاني، جـ١٨ / ١٨٩

(٢) شخصيات حية من الأغاني / ٢٤١

(٣) ينظر: العصر العباسي الأول، د. شوق ضيف / ٦٥ الطبعة ١٧، دار المعارف ٢٠٠٧م

- مدينة بالعراق تقع على الضفة الشرقية لنهر دجلة .

(٤) نساء الخلفاء المسمى: جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء / ٦٢، ٦٣

وقد مكنها هذا العمر الطويل من معاصرة كثير من الخلفاء العباسيين، أمثال: الأمين، والمأمون، والمعتصم، والواثق، والمتوكل، والمعتز، وكان لها مع كل واحد منهم أخبار وحكايات، غير أن المأمون كان أكثرهم حباً لها، وتعلقاً بها،ولذا نسبت إليه، حتى قيل: عريب المأمونية.

المبحث الثانى

شعر عريب المأمونية .. فنون وأغراض

كان للجوارى . بوجه عام . أدب خاص، نشأ على أيديهنَّ، وتربى فى بيئتهن، وكان الذوق الأدبى الذى يزينه الجمال والفن والسحر النسوى، تزكيه وتصقله خواص المجتمع العباسى الأنيق الباهر .

وقد نبغ . فى هذا المجتمع . كثير من الجوارى الساحرات فى الأدب والنظم نبوغاً يُذكر.

ومن هؤلاء: عريب جارية المأمون، التى كانت من أديبات العصر، ومن أعظم الجوارى جمالاً، وثقافةً، وأدباً، كما أنها كانت تتمتع بكثير من المواهب، والخلال الفنية، والغنائية، والموسيقية.

ونحن عندما نخضع شعر عريب . الذى بين أيدينا . الى النظر والتأمل الدقيق، نجد أنه يسير فى عدة اتجاهات أو موضوعات لا تخرج فى . جملتها . عن ثقافة العصر، وروحه، وجوّه العام.

ومن أهم هذه الموضوعات والفنون ما يأتى:

١ـ المدح:

المدح فن من فنون الشعر العربي الأصيلة، وقد درج عليه الشعراء في كل عصر، تدفعهم إليه دوافع عديدة، وأسباب شتي.

وحين نتأمل مجموع الأشعار التي بين أيدينا لعريب، نجد أن فن المدح هو الفن الأول عندها، حيث ظهرت لها فيه محاولات عديدة، تدفعها الي ذلك: الرغبة في إرضاء الممدوح حينا، أو مجرد الإعلان عن الذات أنها موجودة، ولها صوت وأثر في حين آخر.

ومن ذلك ما جاء من شعر لها في المتوكل (١)

---

١) هو جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن الرشيد، ولد ببغداد سنة ٢٠٦هـ، وبويع بالخلافة بعد وفاة أخيه الواثق سنة ٢٣٢هـ، وكان جواداً ممدحاً محباً للعمران، ومن =

تقول فيه (١):

بجعفرٍ زادني الرحمنُ إيمانا ∴ جزاه ذو العرش بالإحسان إحساناً
وزاد في عمره طولا ومنزلةً ∴ فيه وأعلا له في الأرض سلطانا

فالمتوكل أحد الخلفاء العباسيين الذين ازداد الدين بهم في قلوب الناس، ومن هنا: فهو قمين بالدعاء له بحسن المثوبة من الله، وطول العمر، وعلو الشأن، ورفعة السلطان.

ولها أيضا في المتوكل (٢) :

بجعفرً نام المسلمون توكلاً ∴ علي انه عن أمرهم غير نائمِ
أقام رشيد الأمر في كل فعلةٍ ∴ به هَدَرٌ(٣) في كل باغٍ وظالمِ

فالمتوكل سلك فى سياسة الرعية مسلكا قويما، حيث أقام العدل، وضرب علي أيدي العابثين والمفسدين بيد من حديد، فأهدر دماءهم، وضيق المنافذ عليهم، فاستقر الأمن في أطراف البلاد، وأمن الناس علي حياتهم وأموالهم.
وعريب في بيتها الأول تجسد قوة مدحها للمتوكل من خلال هذا الطباق القوي بين نام، وغير نائم.
*** ولعريب في مدح الخليفة المستعين(٤) أشعار كثيرة منها قولها فيه (٥) :**

=آثاره: المتوكلية ببغداد، وقد أنفق عليها أموالا كثيرة، وسكنها، ونقل مقر الخلافة من بغداد إلى دمشق، فأقام بها شهرين، فلم يطب له مناخها، فعاد وأقام فى سامراء،الى أن اغتيل بإغراء ابنه المنتصر سنة٢٤٧هـ (الأعلام، جـ٢ / ١٢٧)

١) الاماء الشواعر، لأبى الفرج الاصفهانى، تحقيق د / جليل العطية / ١٤٤، دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع، والبيتان من البسيط.

٢) الإماء الشواعر / ١٤٤، والبيتان من الطويل.

٣) الهَدَر: ما يَبطُلُ ويباح من دم وغيره (اللسان، جـ٥ / ٢٥٧، مادة هَدَرَ)

٤) هو احمد بن محمد بن المعتصم بن الرشيد، وأمه أم ولد، اسمها: مخارق، ولد سنة ٢٢٠هـ وبويع بالخلافة فى اليوم الذى مات فيه المنتصر فى الخامس من ربيع الآخر سنة ٢٤٨هـ، ولم يزل خليفة الى أن خلع، وكانت مدة خلافته ثلاث سنوات، وثمانية أشهر، و٢٨ يوماً (البداية والنهاية، جـ٦/١١/٣)

٥) الإماء الشواعر/ ١٤٧، والأبيات من الوافر التام.

بوجهك نستجير من الزمانِ ∴ ويطلق كل مكروبٍ وعاني
أشعت العدل والإحسان حتي ∴ غدوت من المآثم في أمانِ
فنسأل ربنا عونا بشكرٍ ∴ فقد أعطاكَ مفروج الأماني
إذا سلم الإمام فكل نفسٍ ∴ فداء المستعين من الزمان

فعريب تمدح المستعين بأنه قبلة لكل مكروب ومظلوم، وأن سياسته قد ذهبت في الرعية مذهب العدل والإحسان، فحفظ بذلك رعيته،وحصّن نفسه من العقاب، والحال أن الرعية تصلح بصلاح إمامها وقائدها، وتفسد بفساده.

والصفات التي صاغتها عريب مدحا للمستعين، صفات درج معظم شعراء العربية علي صياغتها عندما يقصدون إلي مدح خليفة أو أمير، فهي صفات تشبه الأثواب المعدة سلفاً، بحيث يوصف بها كل من يتولي الخلافة أو الإمارة.

٢ ـ الغزل:

فن الغزل من الفنون المهمة التي نظمت فيها عريب، فأجادت، وهو يمثل كثرة هائلة في مجموع أشعارها، ونلحظ أن شعرها الغزلي توجهت أكثر ما توجهت به الي شخصين، هما: محمد بن حامد الخاقاني، وصالح المنذري الخادم، وكانت عريب قد أحبت كلا منهما في بعض أوقات عشقها، ويبدو أنها تزوجت سرا من الثاني لبعض الوقت(١) أما غزلها في خلفاء بني العباسي، فهو قليل أو نادر، ولعل السر في ذلك يرجع: إلي المحافظة علي هيبة هؤلاء الخلفاء، كما أن هيبة زوجات الخلفاء كانت تمنع عريبا وغيرها من أن يشتطوا في هذا الباب.

---

١) نهاية الأرب فى فنون الأدب/١٠٣

ـ ومما يذكر لها من الغزل الخفيف المتواري في المأمون، أنه حين هم بالخروج الي بلاد الروم، خطرت بباله جاريته عريب، فأمر بإحضارها إليه، فلما رآها، أعجب بها، وأعجبت به، ثم قالت له: ما هذا ؟ قال: أريد الخروج إلي بلاد الروم،فبكت ثم أنشأت تقول (١):

سأدعو دعوة المضطرّ رباً ∴ يُثيبُ علي الدعاء ويستجيبُ(٢)

لعل اللهَ ان يكفيك حرباً ∴ ويجمعنا، كما تهوي القلوبُ

فعريب سوف تدعو الله دعاء المضطر، حتي يستجيب لها الدعاء، فيكفي المأمون شر الحروب وويلاتها،ويجمعه وإياها كما يميل الي ذلك قلب كل منهما ويطلبه.

ولقطة الغزل ـ كما هو ظاهر ـ جاءت علي استحياء، وفي ثوب حزين في الشطر الأخير من البيت الثاني، وعبرت عنها بحروف ضعيفة هامسة، وكأنها رسالة قصيرة، تريد عريب أن تُسِرّ بها إلي المأمون في خفيه وتحفظ شديدين.

*** وحدث ابن المعتز: أن عريبا كانت تتعشق صالحا المنذري الخادم، وأنها تزوجته سرا لبعض الوقت، وحين وجه به المتوكل إلي مكان بعيد، هاجت عاطفتها،واضطرمت لواعج الحب في قلبها، فقالت(٣):**

أما الحبيبُ فقد مضي ∴ بالرغم مني لا الرضا

---

١) مصارع العشاق، لأبى محمد جعفر بن احمد السراج القارئ، جـ٢ /١٥٧، دار صادر . بيروت) والبيتان من الوافر.

٢) فى البيت اقتباس من قوله تعالى: " أمن يجيب المضطر إذا دعاه ..... " النمل، آية ٦٢

٣) الخبر والأبيات فى: الاغانى، جـ٢١/٧١، ٧٢ . وفى نهاية الأرب، جـ٥/١٠٣، ١٠٤ . وفى الإماء الشواعر/١٣٨، والأبيات من الكامل .

أخطأت في تركي لمن ∴ لم أُلفَ عنه مُعْرِضا

لبعده عن ناظري ∴ صربتُ بعيشى عَرَضا

فهي تتألم من هذا الفراق الذي منيت به من المنذري، وتبدو آثار الألم والحزن واضحة في الأبيات، وهو ما يتجلي في التعبير بلفظة الفعل "مضي" لتدل علي هذا الفراق الذي جاء فجأة، ودون سابقه من إنذار أو إعلان، فإذا بالحبيب يمضي، وإذا بالديار خلاء.

*** وأما محمد بن حامد الخاقاني الذي كان _ فيما يبدو _ أشقر، أصهب الشعر، ازرق العينين، فإنا نجد عريباً تتغزل فيه، وفي شقرته كما لو كان امرأة جميلة تقول فيه (١):**

بأبي كلُّ ازرقِ ∴ أصهب اللون أشقرِ

جُنَّ قلبي به ∴ وليس جنوني بمنكرِ

فعريب تبدو عاشقة متيمة، يستهويها جمال محمد بن حامد الخاقاني، بما أوتي من زرقة العينين، وشقرة اللون، وانسيابية الشعر وجماله، فتتغني به، وتهيم به حبا وعشقا، وهو غزل صريح تجنح فيه عريب إلي وصف أجزاء من الجسد بصوره تبدو غريبة، لا سيما إذا كان الغزل من امرأة.

***ويبدو أن عريبا كانت صادقة العاطفة تجاه محمد بن حامد هذا، يشهد علي هذا كثرة شعرها فيه، وكثرة بكائها بين يديه.**

فها هي ذي تكتب إليه عاتبة شاكية صبابتها ولوعتها وبكاءها الذي لا ينقطع، فتقول(٢):

تبينت عذري فما تعذِرُ ∴ وأبليت جسمي ولا تشعرُ

---

١) الأغانى جـ١٨/١٨٠، والشعر فى الادب العباسى /٤٧٧، ٤٧٨، والأبيات من مجزوء الخفيف.

٢) الأغانى جـ٢١/٨٧، والبيتان من المتقارب.

ألفتَ السرورَ وخلّيتني ∴ ودمعي من العينِ لا يفترُ

ففي البيتين تسري عاطفة قوية وصادقة، حيث إنها تقدم عذرها لابن حامد عن أمر كان قد بلغه عنها، وحين صدقت في إبداء عذرها، صدقت عاطفتها، لذا يروي أن ابن حامد حين بلغته هذه الأبيات، قبل عذرها، وصار إليها.

وأظن أن حبها الصادق لابن حامد، هو الذي دفعها إلي أن تلبس ذات يوم ثوبا مطرزا بالذهب، مكتوبا في وشاحه ([1]):

واني لأهواه مسيئاً ومحسناً ∴ وأقضي علي قلبي بالذي يقضي

فحتي متي روح الرضا لا ينالني؟ ∴ وحتي متي أيام سخطك لا تمضي؟

فعريب تهوي ابن حامد مسيئا ومحسنا، وتلك سمة الحب الصادق وعلامته، ثم هي تتساءل إذا كان حالها كذلك: إلى متي يظل رضاه بعيدا عنها ؟ وحتي متي تظل أيام جفائه مقيمة فوق صدرها ولا تمضى ؟

ويظهر مما سبق: أن عريباً حاولت التمرد على واقعها الذى كان ينظر الى تغزلها على أنه عيب، وأطلقت عواطفها، بيد أنها عانت الحرمان واليأس ؛ بسبب كونها غير حرة.

٣ـ الوصف:

الوصف فن من فنون الشعر العربي العريقة، وهو يتناول وصف الجمال، ويتناول وصف القبح والدمامة، وهو يستقطب جميع فنون الشعر بين أعطافه، فالمدح في الأصل وصف لنبل الإنسان وفضله، والنسيب: وصف النساء والحنين إليهن.. وهكذا ([2])

---

١) حكايات الجوارى فى قصور الخلافة / ٤٤، والبيتان من الطويل.

(٢) يراجع: الوصف فى الشعر العربى، عبدالعظيم على قناوى، جـ١/٤٢ ط١، شركة ومكتبة مصطفى البابى . الحلبى واولاده بمصر ١٩٤٩م

وقد أغري العصر العباسي _ بما فيه من التأنق والزينة، والجمال والترف، والمجون، ومجالس الشراب _ الشعراء والأدباء الي الإبداع في الوصف، والتفنن في ضروبه.

وعريب واحدة من الجواري الحسان، اللائي عشن في هذا العصر، وكان لها وجود حقيقي داخل قصور الخلفاء، وكثيرا ما حضرت معهن مجالس اللهو والمجون والشراب*، وكان لها نظم كثير في هذا الجانب.

_من ذلك ما يروي أن بُنانا (١) المغني،أقام ليلة عند المعتمد، فغناه بأبيات أعجب بها، فأمرت بإحضار بنان، فلما حضر، قدمت له الطعام والشراب،وسمعت منه الغناء الذي غناه عند المعتمد، ثم أخذت دواة ودَرَجا(٢) فكتبت (٣):

أجاب الوابلُ الغَدِقُ ∴ وصاح النرجسُ الغَرِقُ
فهاتِ الكأسَ مترعةً ∴ كأنها حَبَابها حَدَقُ
تكاد بنور بهجتها ∴ حواشى الكأس تحترقُ
فقد غني بُنان لنا: ∴ "جفونٌ حشوها الأرقُ"

فعريب تصف هذا المجلس، وتصف ما فيه من كؤوس الخمر المترعة وصفا دقيقا، فهي تصف فقاعات الخمر حين تفور في كأسها، وتأخذ شكلا

- ما ذكره أبو الفرج الأصفهاني وغيره، عن الخلفاء العباسيين من تهالك على الشرابي واللهو وتعلق بالجواري الحسان، لا نوافق عليه ؛ لما فيه من المبالغات المنكرة، والميل إلى التشويه عن قصد أو عن غير قصد، خاصة وأن الخلفاء العباسيين قد أشتهروا بالشجاعة والحزم، وحفظ الدين، والقضاء على الفتن في مهدها، والاهتمام بالعمران، (يراجع: الأغاني، جـ١٩/٣٢٣، والدولة العباسية، الشيخ محمد خضر/٨١، ٩٢، ١٣١،١٦٥، ٩٩، ٢١٣، ٢٣٣، ٢٣٩، ٢٥.في هذه الصفحاتحديث مفصل عن أخلاء الخلفاء العباسيين .

٢) الدرج . بفتح الراء وسكونها . الشئ الذى يكتب فيه (اللسان، جـ٢/٢٦٩، مادة: دَرَجَ)

٣) الإماء الشواعر / ١٣٦، والأبيات من الوافر.

دائريا، بالحدق، وتصف الكأس أيضا بالسعادة الغامرة، حتي لتكاد حواشيه تحترق من فرط البهجة والسرور.

وهي مجيدة إلي حد كبير في هذا النص، وتتجلي ملامح الجودة عندها في: أنها جمعت في بيتها الأول ألفاظاً متناسبة متآخية، يأخذ بعضها بأعناق بعض، مثل (الوابل، والغدق، والغرق) ثم يأتي ذكر النرجس الذي هو النتيجة النهائية، والمنظر الجمالي المراد من التعبير، ولعلها أرادت بذلك نفسها.

كما تجلي في: هذا التشبيه الجميل الرائع في البيت الثاني، الذي تشبه فيه فقاقيع الخمر بالحدق، ملاحظة في ذلك: الشكل، والحجم، والصفاء.

ونلحظ أن الوصف _ هنا _ اقتصر علي التركيز علي مشهد خارجي عن الذات

*** ومن أشعارها في الوصف _ أيضا _ ما ورد أنها دخلت علي المتوكل تعوده في حمي أصابته، فقال لها: أنت مشغولة عني بالقصف (١) وأنا عليل ! فقالت علي البديهة (٢):**

أتوني، فقالوا: بالخليفة علةٌ

فقلتُ ونار الشوق تقدح في صدري

ألا ليت بي حمي الخليفة جعفرٍ

فكانت بي الحمي، وكان له أجري

كفي حزناً أنْ قيل: حُمَّ فلم أمتْ

من الحزن إني بعد هذا لذو صبرِ

---

١) القصف: اللهو واللعب (اللسان جـ٩/٢٨٣، مادة: قَصَفَ)

٢) الإماء الشواعر / ١٣٦، ١٤٠ والأبيات من الطويل.

جُعلتُ فداء للخليفة جعفرٍ

وذاك قليل من ثناى ومن شكري

فعريب _ في هذه الأبيات _ تصف أثر الصدمة علي نفسها، حيث فوجئت بخبر علة المتوكل، فلم تدر إلا وهي تهرول مسرعة إليه، معلنة أمامه خوفها وفزعها عليه، متمنية أن تنتقل حمي الخليفة إليها، وينال هو أجر عيادة المريض.

وتصف _ أيضا _ عميق حزنها وألمها، ليس لما حل بجعفر، ولكن بسبب بقائها علي قيد الحياة بعد علمها بذلك.

وهو أسلوب رقيق، فيه خفه ونعومه تنساب من أعطاف تلك الجارية انسياب الماء من فم السقاء.

*** وروي الحسن بن محمد، عن أحمد بن المرزبان، قال: دخلت عريب علي المتوكل في أول يوم من المحرم، وهو مقيم في القاطول (١) يشرب في الزّو (٢) فقالت هذه الأبيات (٣):**

سنةٌ وشهرٌ قابلا بسعود ∴ وجه الخليفة انه لسعيدُ

اشرب علي ملكٍ أتاك مجرّداً ∴ في كل يوم ما تحبُّ جديدُ

فالزو والقاطول أحسن منظرٍ ∴ وغنا عريبٍ ما لذاكَ نديدُ

والوصف في الأبيات يبدو وصفا تقليديا، ليس فيه شيء مبتكر، أو معني فريد، وإنما يموج بالضحالة والسطحية كما هو ظاهر.

٤- التهنئة:

---

١) القاطول: اسم مكان على نهر دجلة بالعراق (اللسان، جـ١١/٥٥٩، مادة قَطَلَ)

٢) الزّو: سفينة كانت تستخدم من قبل الخلفاء للهو والشراب.

٣) الإماء الشواعر / ١٤٢، ١٤٣، والأبيات من الكامل.

في ظل الحياة في قصور الخلفاء العباسيين، تكثر المناسبات التي تستدعي تقديم التهاني، ويتجلي ذلك في: زواج، أو شفاء من علة، أو حج، أو رجوع من حرب، أو اعتلاء عرش، أو إنجاب ولد.

ولم تكن عريب البرمكية تعيش بمعزل عن هذه المناسبات الاجتماعية، وإنما كانت تنفعل لبعضها، فتنظم فيها شعرا، أو تكتب فيها نثرا.

. ومن ذلك ما يروي أن عريبا دخلت يوما الي المتوكل، وقد أفاق من علة كانت أصابته، وعاد إلي عادته، واصطبح (١) فغنته، وأنشأت تقول (٢):

شكراً لأنعم من عافاك من سقمٍ ∴ دمتَ المعافَي من الآلام والسَّقَمِ
عادتْ بِبُرْدَيْك للأيام بهجتُها ∴ واهتزّ نبتُ رياض الجود والكرمِ
ما قام بالجود بعد المصطفي ملكٌ ∴ أعف منك ولا أرعي علي الذممِ
فعمّر الله فينا جعفراً ونفي ∴ بنور سنته عنا دُجي الظُلَمِ

فالأبيات تبدو متراقصة جَزْلي، والفرحة تكاد تتجسد بين الأبيات، وإن كانت المعاني دارجة، ومستقاة من معاني السابقين.

وقد وصف للمتوكل موضع بشبداز (٣) فأمر أن يبني له قصر، ويجعل في صدره المجالس، ومن الحجر ما يصلح، وأمر بفرشه فرشا

---

١) اصطبح: شرب الصُّبوح، والصبوح: الخمر، وقيل: كل ما أكل أو شرب غُدْوة (اللسان، جـ٢/٥٠٣)

٢) الإماء الشواعر / ١٣٩، والأبيات من البسيط .

٣) شبداز: بكسر اوله، وسكون ثانيه: قصر عظيم من أبنية المتوكل، ويقال: إن كلفة بنائه عشرة آلاف درهم .

- اجتهد بعض فقهاء العراق، فأحلوا بعض الأنبذة،فشربها الخلفاء وشربها الناس، وأغلب الظن أن الخلفاء العباسيين لم يتجاوزوا الأنواع المحلله إلى الأنواع الحرمة، إلا ما كان من الأمين الذي كان يشربها أرطالا (يراجع: العصر العبا سي الأول، د/ضيف /٦٥، ٦٦)

أنيقا، وجلس فيه يشرب * فحضرت عريب في هذه المناسبة، وغنت في شعر لها تقول فيه (١):

بالسعد واليمن ما ترى قصرَ شَبْدازِ
حللتَه في سعاداتٍ وإعزازِ
فاشكر لمن بك تمتْ فيه نعمتُه
بناؤه تمّ في يسرٍ وإيجاز
لو رام هذا لأعيا دون مبلغه
"دارا" وقصَّر عنه ملك "برواز"(٢)
بجعفرٍ وضحتْ سبلُ الهدي به
راش (٣) البريّة طراً بعد إعوازِ

فعريب _ هنا _ تهنيء المتوكل بمناسبة بناء القصر المنيف، وتدعو له أن يعيش فيه في سعادة ويمن وعز، وتذكر أن هذا القصر بلغ في الجمال والكمال والأناقة شأوا عظيما، فلو رام أعظم ملوك الدنيا أن يكون يحوز مثله، ما طاوعته أمانيه، ولا بلغه إياه سلطانه.

٥ـ العتاب:

العتاب سلوك حضاري، يسلكه بعض الأشخاص تجاه من يحبونهم ويقدرونهم، ولكنهم لا يستطيعون التوجه بالنقد الصريح إليهم، إما لأنهم شخصيات عظيمة ومرهوبة في المجتمع، وإما لأنهم أحباب حميميون، والنقد

١) الإماء الشواعر / ١٤٠، ١٤١، والأبيات من البسيط .
٢) دارا، وبرواز: رجلان من فرسان العرب (اللسان، جـ٤/٢٩٩)
٣) راش البرية: أحسن إليها، وأولاها خيراً (اللسان، جـ٦/٣١٠، مادة: رَيَشَ)

يجرح مشاعرهم، ويؤلم أرواحهم، فيكون العتاب الخفيف هو الطريق المتاح لتبليغ المراد.

وعريب البرمكية، كثيرا ما تعرضت في حياتها إلي بعض المواقف، التي تستدعي منها توجيه عتاب لشخص ما ؛ إبقاء علي عرى المحبة، وإنقاذا لما بينهما من وداد.

ـ ومن ذلك ما ورد عن هاشم بن محمد الخزاعي، قال حدثني ميمون بن هارون، قال: كتبت عريب إلي محمد بن حامد _ الذي كانت تحبه _ تستزيره، فكتب لها: إني أخاف علي نفسي من المأمون، فقالت عاتبة عليه في ذلك (١):

إذا كنتَ تحذرُ ما تحذرُ ∴ وتعلم أنك لا تجسُرُ
فمالي أقيم علي صبوتي ∴ ويوم لقائك لا يُقْدرُ؟

فعريب تتوجه إلي ابن حامد بالعتاب، وتأخذ عليه خوفه وجبنه، وتلوح إليه بأن الهجر والحرمان جزاء عادل لكل رعديد، إذا لا يأتي اللقاء مع الخوف..

*** وقد ورد أن ابن حامد كتب إليها يعاتبها علي شيء بلغه عنها، وقد اعتذرت إليه، فلم يقبل اعتذارها، مما دفعها إلي الكتابة إليه عاتبة، تقول (٢):**

---

١) الأغانى، جـ٢١/٧١، ٧٢، نهاية الأرب، جـ٥/١٠٣، ١٠٤، والبيتان من المتقارب .
٢) الاغانى، جـ٢١/٨٧، والبيتان من المتقارب .

تبيّنتَ عذري فما تَعْذِر ∴ وأبْليتَ جسمي ولا تشعرُ

أَلِفْتَ السرورَ وخلّيتني ∴ ودمعي من العينِ لا يفترُ

فهي _ هنا _ تعتب علية عتابا رقيقا، فيه بيان لما وصل إليه حالها، بسبب تجاهله لأمرها، فجسدها قد أبلاه الحزن، وعينها قد أغرقتها الدموع. ولله در القائل:

لم يخلق الدمع لامريء عبثاً ∴ الله أدري بلوعة الأحزانِ (١)

٦ـ الشكوى:

الشكوى غرض شعري بدأ يكشف عن وجهه في العصر العباسي، وبخاصة بعد فساد الأحوال السياسية، والاجتماعية، وبسبب وجود المنغصات والدوافع التي تدفع الناس إليها.

وفي بث الشكوى إلي الغير، والبوح بمكنون الصدر إليه، لون من التسلية والتسرية والتخفيف من شدة وطأة الألم علي النفس، ولله در بشار بن برد حين قال (٢):

ولا بد من شكوى لذي مروءة ∴ يواسيك أو يسليك أو يتألم

ويبدو أن عريبا لم تسلم هي الأخرى من وخزات الدهر، وعضات الأيام، فقد طالت أيامها، وعمرت طويلا، حيث عاشت سبعا وتسعين سنة في ظلال الترف والنعيم.

---

١) لم أعثر على قائل البيت رغم شهرته وزيوعه .

٢) ديوان بشار بن برد، تحقيق وتقديم / محمد الطاهر بن عاشور جـ٤ /١٠٠، لجنة التأليف والترجمة والنشر _ القاهرة، والبيت من الطويل .

ولما تقدمت بها السن، أثر ذلك فى أفكارها، وأقوالها، وبدت تسرى روح حزينة فى شعرها من خلال ما قدمته لنا فى فن الشكوى، وإن كان الذى وصل إلينا منه ندر قليل.

ومن ذلك قولها (١):

من صاحب الدهر لم يأمن تصرفه

غبّا وللدهر إحلاء وإمرار

وكل شئ وإن طالت إقامته

إذا انتهى فله لابد إقصار

فعريب ـ فى البيتين ـ تبدو متكسرة الأجنحة، ناقمة على الدهر، لاسيما بعد أن تقلبت بها صروفه، وذاقت مرارته، وتجرعت غصصه، وكذا كل شئ فى الحياة مهما طال بريقه، وامتد أمده، لابد أن يأتى عليه يوم، فتأفل نجومه، وتغرب شموسه....

والمعنى الذى أوردته عريب فى البيتين مستقى من معانى السابقين كما هو ظاهر، فالشطر الثانى من البيت الأول مأخوذ من قول الخنساء:

يوماً بأوجد منى يوم فارقنى

صخرٌ وللدهر إحلاءٌ وإمرارُ

وكذا البيت الثانى، مأخوذ من قول كعب بن زهير:

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته

يوماً على آلةٍ حدباء محمولُ

ومن النصوص التى وردت فى فن الشكوى عند عريب، قولها (٢):

ويلى عليك ومنك ∴ أوقعت فى الحق شكا

---

١) الشعر والشعراء فى العصر العباسى / ٤٧٩، والبيتان من البسيط .

٢) الأغانى، جـ١٨/١٨٣، والأبيات من المجتث .

زعمت أنى خؤون ∴ جوراً علىّ وإفكا
إن كان ما قلت حقاً ∴ أو كنت أزمعت تركا
فأبدل الله مـا بى ∴ من ذلة الحب نسكا

فعريب ـ فى هذه الأبيات ـ تتضور حنقاً، وتتميز غيظاً من محمد بن حامد الخاقانى ؛ الذى رماها بأمر مخزٍ فحاولت التبرؤ منه، فلم يقبل منها، فسد ـ بذلك ـ منافذ التفاهم بين الطرفين.

وقد اضطرها صنيعه هذا إلي أن تجتهد في دفع تهمة الخيانة عن نفسها، ولكن دون جدوى...

لذا جزعت، وهرعت تشكو هذا الظلم والصدود والجفاء، من خلال كلمات دافئة متوسلة، تبعث بها إليه.

*** وتعود عريب مرة أخري، فتشكو زمانها وتقلبه، فتقول (١):**

إن الزمان الذي سقانا من مرارته
بعد الحلاوة أنفاسا وأروانا
أبدي لنا تارةً منه، فأضحكنا
ثم انثني تارة أخري فأبكانا
إنا إلي الله فيما لا يزال لنا
من القضاء، ومن تلوين دنيانا
دنيا نراها ترينا من تصرفها
مالا يدوم مصافاة وأحزانا
ونحن فيها، كأنا لا نزايلها

---

١) مصارع العشاق، جـ٢/ ١٥٨، والأبيات من البسيط.

للعيش أحياؤنا يبكون موتانا

فهى تشكو الزمن وصروفه، فهو إن أحسن إلي الناس اليوم بشيء، انبري عليهم في الغد، فأساء إليهم، وأبكاهم، وهذا دأبه، وتلك طبيعته...

٧- الرثاء:

لم ترث عريب أحدا إلا العباس ولد الخليفة المأمون، وحتي رثاؤها فيه جاء قليلا، وغير متوقع من جارية عاشت في رحاب قصره وقصر أبيه منعمة مترفة، وكان لها عندهم منزلة عالية.

وقد أنشدت في هذا المقام بيتين وليدي الارتجال، فقالت (١):

يا من بمصر غدرها الدهر ∴ قد كان فيك يصاول الدهر

زعموا قتلت، وعندهم عذر ∴ كلا، وربك مالهم عذر

إنها ترد ذلك إلي الزمان الغادر، وهو رثاء هزيل، وبعيد عن شخص العباس، فلم تتناول في رثائها شيئا من مآثره، ولم تعدد خصاله ومحامده علي عادة الشعراء في رثاء الخلفاء والأمراء والقواد، وذلك يجعله رثاء ضحلا وسطحيا وغير ذي أثر.

---

١) الإماء الشواعر /١٣٧، والبيتان من الكامل .

المبحث الثالث

خصائص فنية
في شعر عريب المأمونية

أولا: البناء الفني للأبيات:

وحدة الشعر العربي هي القصيدة، وعلى الرغم من ذلك، فهناك مقطوعات صغيرة، يقولها الشعراء في مناسبات تتطلبها، أو مقامات تدفع إليها، أو استجابة لباعث داخلي، كما في شعر عريب الذي نحن بصدد الحديث عنه، والمقطوعة كما هو معروف: عبارة عن قطعة شعرية تتراوح ما بين بيتين إلى ستة أبيات، ويقصد بالبناء الفني العام لأبيات المقطوعة أمران:

الأمر الأول: البناء الشكلي، وهو يتألف من نوعين:

أولهما: البناء الشكلي الداخلي: ويراد به ما يسري داخل الأبيات من علامات تجسد المعاني، وتجسم الأفكار، او تشخصها، هذا التجسيد و التشخيص الذي يبدو من التكرار، والتوازن، والتقابل بين الألفاظ والعبارات، وما يتيحه ذلك من ألوان الإيقاع، و الأنغام الموسيقية، بالاضافة إلى الموسيقى الخفية أو الداخلية، والتي تكمن في توفيق الشاعر في اختيار الألفاظ والعبارات الموحية بالمعنى، حيث تضيف تلك الايحاءات والظلال إلى المعنى المراد: معاني كثيرة، تثرى المعنى العام للأبيات.

وثانيهما: البناء الشكلي الخارجي: ويراد به كيفية ربط أفكار المقطوعة، وتسلسل أبياتها، وتناسق معانيها، وترتيب مكوناتها بطريقة تحقق الوحدة الفنية (١)

الأمر الثاني: بناء الفكرة

ويراد به: مدى تسلسل المعاني التي تدور حولها المقطوعة، وانتظام فكرتها في وحدة موضوعية أو فكرية، أو عدم انسجامها.

وقد جاءت أشعار عريب جميعها – بعد جمعها واستقرائها – في شكل مقطوعات شعرية، تتوزع ما بين: البيت، والبيتين، والثلاثة، والسبعة، ولم يأت في شعرها قصائد طويلة غير قصيرة واحدة، نظمتها في مدح المستعين

١ يراجع: مناهج البحث الأدبي، د/ سعد ظلام / ١٨٧، ط ١٩٧٦م

بالله، وهي تبلغ واحدا وعشرين بيتا، ولعلها – في هذه القصيدة – كانت تحاول إثبات جدارتها، ومجاراة الرجال في نظم القصائد الطويلة.

ومن الصعب على الدارس أن يخضع هذه المقطوعات للمقاييس الفنية للقصائد الطويلة، وإنما تخضع المقطوعات لبعض المقاييس التي يصح أن تقاس بها، مثل: وحدة الفكرة، وصحة المعنى أو الخطأ فيه، وما يقع فيها من طرافة، أو ابتكار، ومدى التزامها بمقومات الشعر العمودي.

وقد جاءت مقطوعات عريب – في مجملها – ملتزمة بكل ما يلتزم به الشعر العمودي، في إطاره الخارجي: من وحدة الوزن، والتزام القافية، ولم يشذ عن ذلك شيء من شعرها الذي بين أيدينا

وعريب في مجموع أشعارها، تعتمد على بعض المحسنات البديعية غير المتكلفة، والتي لا نكاد نحسها، لشدة اتساقها، وائتلافها في الأسلوب الشعري، وهذا يدل على أنها لم تجنح إلى هذه المحسنات، لتستر بها ضعفا أو تخفي عيبا، أو تغطي على نضوب في العواطف، أو إخفاق في الخيال.

ومما ينبغي ذكره في هذا المقام: أن أغلب شعر عريب كان ارتجالا، وليد اللحظة والموقف، فقد جاء معظمه إما ردا على سائل من أهل زمانها ومعاصريها، أو استجابة لمطلب خليفة أو عزيز، كما سبق أن ذكرنا أن المتوكل طلب منها أن تنظم له شعرا في قبيحة جاريته – حيث كانت مريضة – تذكر فيها أنه قلق عليها، وعلى أن أن يكون هذا الشعر على لسانه هو[1]

ونحن ندرك أن الشاعر المرتجل ليس كغيره من الشعراء، فغير المرتجل عنده من الوقت ما يمكّنه من الاتيان بالجميل الممتع من المعاني والأفكار

(١)يراجع الخبر والأبيات في: الإماء الشواعر /١٤١.

والصور، كما أن لديه الفرصة ليغير، ويبدل، ويضيف، ويحذف، ويقدم ويؤخر، وغير ذلك مما يحتاج إليه شعراء الصنعة والتروي.

أما الشاعر المرتجل، فهو يحتاج إلى مقومات أخرى تبلغ به المراد، منها: أن يكون حاضر الذهن، متوقد الذكاء، فطنا، له لسان حاد ذرب يساعده على الهبوط على مناطق الإبداع والإمتاع بيسر وسهولة، فيستخرج منها الفن الرائق المعجب، الذي يحتاج غيره في الوصول إليه زمنا طويلا، وفكرا عميقا.

ومما يذكر من مواقف الارتجال: أن عريبا دخلت يوما على المعتمد، وهو مخمور يتململ، فأخذت دواة ودرجا، وكتبت على الفور(١):

قلبي هام بأحمدٍ	لا بالظباء الخُردِ
بعديك كل أحمدٍ	بعد النبي الأحمد
الهاشمي الأبطحي	القرشي المهتدي

ثانيا: **اللغة** (**الألفاظ و الأساليب**):

حين نتأمل لغة الشعر التي يستخدمها الشعراء في إخراج روائعهم وفرائدهم، نجد أنها هي اللغة التي يستخدمها الناس في كلامهم، فهي لا تخرج عما يتحدث به الناس في حياتهم، أو يكتبونه، ويتخاطبون به.

والعجيب " أن الشاعر استطاع بهذه الأداة المألوفة – اللغة – أن يخرج فنا يفوق جميع الفنون، ويسمو عليها سموا كبيرا، ونظرا لأن الشعر الصحيح ينبعث دائما عن إحساس قوي ممتاز، عما سواه من الإحساسات المألوفة، فقد استطاع أن يتخذ للتعبير عنه لغة خاصة متجانسة مع الإحساس، فليس

(١)السابق /١٤٢

المعنى وحده هو الذي يؤثر في النفس، بل إن الألفاظ – التي هي منه بمثابة الجسد من الروح – لها تأثيرها الخاص "[1]

وليس يسيرا على الباحث أن يحصر الخصائص أو الصفات التي تجعل لغة الشعر ذات تأثير قوي على نفس المتلقي، بل هي مسألة خاضعة لمقدار الذوق و الثقافة التي يتحلى بها الباحث أو القارئ، فكـــلما كانت ثقافته واسعة، وذوقه مرهفا، كلما استطاع أن يستنبط المعاني الفريدة، ويستخرج الدر من أحضان الضباب، وكلما اتصف بضحالة الثقافة، وسطحية الذوق، لم يأت بمبتكر ولا بجديد.

ومن هنا، قالوا: إن لغة الشاعر أهم شيء في فنه، إذ هي المحيّا الذي يتفرَّس فيه الناس مشاعر الأديب، وعواطفه وأفكاره تجاه ما يعالجه.

والأسلوب – كذلك – أمر مهم في العمل الأدبي، فهو فن القدرة على استخدام المفردات اللغوية، وتطويعها للتعبير عما ترمز إليه، وكلما وفق الشاعر في اختيار ألفاظه، وأساليبه المعبرة عن مراده بدقة وتأن، كلما وصل عمله إلى الجودة الفنية، وحاز النجاح و القبول، بينما يظل عمل الأديب عديم الفائدة إذا لم يكن متمكنا من وسائل فنه، قادرا على تصوير عواطفه وأفكاره، في لغة جيدة، وأسلوب مشرق أخاذ.

وقد أطال نقادنا القدامى والمحدثون – على السواء – في ذكر مقاييس الكلمة الشاعرة، وذكروا منها: الدقة، والإيحاء، والسهولة، والألفة، والطرافة، والشاعرية، والصحة، والقوة.. إلخ [2]

---

(١) التوجيه الأدبي، لطه حسين وأخرين / ١٣٧، مطابع دار الكتاب العربي بمصر١٩٥٣م.
(٢)ينظر: أسس النقد الأدبي عند العرب، أحمد بدوي /٤٥٢، طبعة نهضة مصر.

وهي مقاييس فنية لو أخذ الأديب نفسه بها، فإن عمله يقترب من الكمال، ويحوز القبول والرضا لدى متلقيه، ويكون جديرا بأن تفتح له أبواب الخلود والبقاء.

وعريب المأمونية – التي يدور الحديث حول شعرها – تعد من الشاعرات المجيدات المتمكنات من اللغة وأساليبها، وطرق استخدامها، تمكنا يتيح لها أن تكون في مقدمة الإماء الشواعر في قصور الخلافة العباسية.

ولعل من جميل ما يمكن أن نستشهد به في هذا المقام من شعر عريب، قولها [1]:

من صاحب الدهر لم يأمن تصرفه غِباً، وللدهر إحلاء وإمرار
وكل شيء وإن طالت إقامته إذا انتهى فله لابد إقصار

فقد تخيرت الشاعرة – هنا – ألفاظها بدقة وعناية، وذلك حين عبرت عن طول العمر، والإقامة في الدنيا، بمصاحبة الدهر، وهذه المصاحبة تقتضي المسالمة، لكن تأتي المفاجأة والمفارقة الغريبة، وهي: أن من صاحب الدهر ولازمه طويلا فلابد أن ينقلب عليه يوما، وقد عبرت عن سرعة هذا الانقلاب والتحول بكلمة ((غبا))، و الغب: هو ان تأخذ يوما وتترك آخر [2] وكذلك الدهر يحسن مرة ويسيء أخرى.

ولذا أحسنت الشاعرة، حين ختمت بيتها الأول بقولها: وللدهر إحلاء وإمرار، فللدهر حالتان: حلوة: في وقت الشباب والقوة والترف والنعيم، ومرة: بعد أن تقدمت بها السن، وقلت فيها الرغبة.

---

(١)الأغاني، جـ١٨/١٨٧، ١٨٨، والبيتان من البسيط.
(٢)لسان العرب، جـ١/ ٦٣٥، مادة: غبب.

ولا يخفى ما بين الكلمات: صاحب، والدهر، والصروف، والحلاوة، والمرارة من تناسب ومؤاخاة، وهو مدعاة إلى إحداث لون من الانسجام الفني بين الكلمات، حين تتآزر، لتجسد المعنى.

وهذه الدقة في اختيار الألفاظ المعبرة، تستدعي من الشاعر أن يكون ذا بصر بمواقع الألفاظ، بحيث تعبر كل لفظة عن شعوره، وتجلو فكرته، وتكشف الخيال الذي يتراءى له(١)

وإذا أطلقنا طرفنا تجاه الأساليب – في هذا النص – نلفيها جيدة ومتنوعة هي الأخرى، فالنص به كثير من التعبيرات الخبرية المعبرة، فقولها: من صاحب الدهر لم يأمن تصرفه، عام يشمل كل أحد، ولا يختص به فرد دون آخر، فصروف الدهر تنزل على الكل، وتعم الجميع.

وقولها: وللدهر إحلال وإمرار، أسلوب خبري أيضا، يكشف عن حقيقة الدهر، وهو أنه ذو أغيار، فمرة يُسعد، ومرة يُشقي !! فضلا عما بينهما من طباق جميل مؤثر، يجلي المعنى ويؤكده.

و توشي عريب أسلوبها – هنا – بتكرار حرف الراء خمس مرات، وهو يصور سرعة تحول الدهر بأهله وتكرار ذلك منه، وقد عبر التكرار الملحوظ في حرف الراء – عند نطقه – عن ذلك بدقة متناهية، كما أن اختيار حرف الراء قافية – هنا – يجسد لونا من الأنين والتوجع الذي يشعر به كل من عضه الدهر.

ومن الشواهد الشعرية التي يمكن ان نمثل بها لدقة اللغة عند عريب، قولها (١):

---

(١)يراجع: اتجاهات النقد الأدبي العربي، د.محمد السعدي فرهود/١١٣، ط١٩٧١م

بجعفرٍ زادني الرحمن إيمانا جزاه ذو العرش بالإحسان إحسانا
وزاد في عمره طولا ومنزلة فيه وأعلا له في الأرض سلطانا

توظف عريب لغتها – في هذا النص – توظيفا يخدم غرضها، وهو إظهار كبير حبها وإعجابها بالخليفة المتوكل.

وتبدو الأساليب الإنشائية واضحة في هذا النص، وهي تتجلى في:

ترادف الأفعال الآتية:

(جزاه، وزاد، وأعلا) وهي أفعال ماضية بمعنى المضارع، وقد قصدت بها الدعاء، وهو لون من ألوان الإنشاء، والسر في مجيئها على صورة الماضي: أن عريبا تقصد إلى تحقق الجزاء، والزيادة، والعلو في جانب المتوكل، وكأن هذه الأمور أصبحت واقعا ملموسا، لا مستقبلا ينتظر قدومه

وبين كلمات: الرحمن، والزيادة، والإيمان، والإحسان، والجزاء، وبين العمر، والزيادة، والطول، تناسب ومؤاخاة، وهو لون بلاغي يقوم بدور الربط بين كلمات النص برباط متين، كما أنه يساعد على سريان لون من الموسيقى الخفية بين الكلمات حين تتناسب وتتآلف.

وفي النص يقوم عنصر التقديم بدور إيجابي ملحوظ، فتقديم كلمة (بجعفر) إلى بداية الكلام، وحقها التأخير، لون من التخصيص والاهتمام بالممدوح، فالخليفة حقه التقديم، والباء فيه للسببية، أي بسبب جعفر زادني الرحمن إيمانا

وفي النص – أيضا – كناية عن موصوف، يظهر ذلك في قولها: جزاه ذو العرش، والموصوف هو الله عز وجل، كما يلوح الاقتباس القرآني في الشطر

---

(١)الإماء الشواعر / ١٤٤، والبيتان من البسيط

الثاني من البيت الأول، وهو مأخوذ من قوله – تعالى –: " هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ " [1] **وهو يعطي النص جمالا وجلالا، وحجة وبرهانا كما يبدو الطباق بين (أعلا) وهو فعل، وبين (الأرض) وهي اسم، وهو يظهر المعنى ويوضحه.**

ومن خلال الشاهدين السابقين، ومن خلال غيرهما من شعر عريب، يمكن القول: إنها شاعرة مجيدة، وأنها متمكنة من لغتها إلى حد كبير، وأن لديها إحساسا بدلالات المفردات وخصائص التراكيب.

ثالثا: الصورة الشعرية عند عريب:

الصور الشعرية من أبرز السمات الفنية التي تميز بين أديب وآخر، وهي

" من القيم الأساسية في الأعمال الأدبية، لا سيما في الشعر، لأنها هي الوسيلة الجيدة الدقيقة في إظهار التجارب الشعورية، بما تحوي من أفكار، وخواطر، ومشاعر، وأحاسيس، وبدونها لا نعرف شيئا بدقة عن تجارب الغير "[2]

ومن هنا، بدا حرص الأدباء على التصوير في فنونهم، حتى يفهم عنهم، ويكتب لأدبهم البقاء والخلود، فضلا عن أن التصوير" من أقدر الوسائل على نقل الأفكار العميقة، والمشاعر الكثيفة في أوفر وقت، وأوجز عبارة، وبذلك تتحول الصورة إلى رمز، وهو أكثر تأثيرا في النفس من الحقيقة، وأكثر امتلاء من اتساع

---

(١)سورة الرحمن، آية:٦٠

(٢)الصورة الأدبية تأريخ ونقد، د/ على على صبح /١٠٩ (بتصرف يسير)ط دار إحياء الكتب العربية.

الواقع المكشوف، وتضحي النفس أسيرة إليه، مجذوبة بقوة خفية، لذا فهي تنسى المعارف التي اكتسبتها من المكشوف الظاهر بعد قليل من الزمن، ولا تنسى الخفي الرامز ؛ لأنه استقر فيها بعد لأي ومجاهدة، وهو سر الجمال في الصورة"[١]

وحين نراجع النصوص الشعرية الكثيرة – التي بين أيدينا – لعريب المأمونية، نجد أن شعرها حوى كثيرا من الصور الرائعة، وهي صور تتسم بالحيوية، وتموج بموقظات الحواس، وكذلك بقدرتها الفائقة على غزو مشاعر المتلقي في يسر وسهولة.

والناظر إلى شعر عريب، يجد نفسه أمام صور كثيرة متنوعة، وقد ساعدها على ذلك: قريحة وقادة، وحظ وافر من الموهبة الفطرية، والبديهة، فضلا عما تثقفت به من علم، وأدب، وثقافة، قبل أن تباع. وقد مكنها ذلك من إبداع صور عديدة ومتنوعة، كان لها أثرها البالغ في نفوس المتلقين.

ومن الشواهد الشعرية لعريب في مجال رسم الصور لتحقيق أكبر قدر من التأثير، قولها [٢]

أجاب الوابل الغدق وصاح النرجس الغرق
فهاك الكأس مترعة كأنا حبابا حدق
تكاد بنور بهجتها حواشي الكأس تحترق
فقد غنى بُنان لنا: جفون حشوها الأرق

(١)السابق /١٧٢، ١٧٣.

(٢)الأغاني، جـ٢١/٥٤، ونساء الخلفاء/٥٨، والإماء الشواعر ١٣٦/١٣٧، والأبيات من الوافر.

حين ندقق النظر – في هذا النص – نجد أنه يموج بكثير من الصور الشعرية المعبرة، وهي صور تتوالى وتتزاحم، لتؤدي – في النهاية – إلى غاية واحدة.

وفي البداية، نرى عريبا ترسم لنفسها صورتين بارعتي الجمال:

الصورة الأولي: تبدو في قولها : أجاب الوابل الغدق

والوابل: هو السيل والغدق: غزير الماء كثيره

وهي تشبه نفسها بالوابل الغدق، في ثورته، وقوته، وفورانه، وكثرة مائه، والموقف يستدعي منها هذا التوتر والانفعال النفسي، الذي أبداه لسانها، فقد استمع الخليفة إلى مغن وأعجب به، وكانت غائبة، فلما علمت بالأمر، كان لابد أن تعلمه أنها بحر زاخر، وعباب طام، ومازال الإبداع يتدفق من بين أعطافها، وهي صورة جميلة اتخذت التشبيه متكئا لها.

اما الصورة الثانية: فهي تبدو في قولها: وصاح النرجس الغرق

والنرجس: لون من الرياحين. والغرق: الغارق في جماله وطيبه.

وعريب – هنا – تشبه نفسها بصورة النرجس الغارق في جماله وطيبه، بجامع الجمال والأنفة في كل منهما.

وهـــو تعبير استعاري رائع، حيث أسندت (الإجابة) للوابل في الأول، و(الصياح) للنرجس في الثاني، وهو تشخيص يزيد المعنى قوة، ويعطي للكلام بهاء ورونقا.

- ولا يخفى هذا التشبيه الرائع في بيتها الثاني، حيث تقول في وصف الخمر:

كأن حبابها حدق: فهي – هنا – تشبه فقاعات الخمر الصاعدة من الكأس لأعلى حين يصبها الساقي فيه، بالأحداق، مراعية في ذلك: الحجم، ودرجة الصفاء، والحركة الدائبة السريعة.

- وتوظف عريب (المبالغة) أيضا في تصويرها للمعاني، فهي تصور أثر الخمر على حوافي الكأس فتقول:

تكاد بنور بهجتها حواشي الكأس تحترق

فحواشي الكأس – حوافه – تكاد تحترق، لشدة صفاء تلك الفقاعات ولمعانها، وهو أمر له غرابته، ولذا حاولت أن تخفف من وطأة هذه المبالغة حين صدرت البيت بفعل المقاربة (تكاد).

- وكذا يقوم الجناس بدوره – أيضا – في رسم الصورة، وإضفاء لمسات جمالية عليها، ولنلحظ الجناس بين: الغدق، والغرق.. إنه جناس يوهم السامع لأول وهلة أن اللفظين بمعنى واحد، وما إن يتفكر قليلا، حتى يدرك خطأ هذا الفهم، ويعرف مدى البون بينهما، فيحدث له لون من الاستغراب والدهشة، يترتب عليهما: استقرار المعنى وتمكنه في ذهنه.

ومن ذلك قول عريب في مدح المتوكل [1]:

بجعفر نام المسلمون توكلا على أنه عن أمرهم غير نائم

أقام رشيد الأمر في كل فعلة به هَدَرٌ في كل باغ وظالم

في النص، تحاول عريب تصوير العلاقة بين المتوكل ورعيته، فتبرز هذا الأمر من خلال طباق بديعي جميل ومعبر، وهو ما يظهر بين كلمتي (نام – و غير نائم) فالرعية نامت حين أمنت على جميع أمورها، وحصلت على كل مطالبها من المتوكل، بينما يبدو المتوكل مسيطرا على الصورة، وقد انتفى النوم من عينيه، سهرا على أمور الدولة، وتدبير شئونها، ويقوم حرف الجر – الباء الملاصقة لكلمة جعفر – بدور فعال في توضيح

(١)الإماء الشواعر/١٤٤، والأبيات من الطويل

المعنى، وهي للسببية، وكأن المعنى: بسبب جعفر، وما قدمه للرعية نام المسلمون، ولم يشغلوا أنفسهم بشيء.

كما يبرز التمييز في كلمة (توكلا) ويقوم بدور فعال في إتمام جمال الصورة، ونفي القبح عنها، فالمسلمون ناموا توكلا، وليس تواكلا، وفرق بعيد بين الحالتين.

ونلحظ أن التصوير في هذا النص تصوير تقليدي متكلف، قامت فيه عريب بنظم شعرها، واختيار ألفاظه بدقة وعناية، كما قامت بإبراز عواطفها ومشاعرها للمتلقي، ولكنها سلكت مسلكا عقليا، وبالتالي جاء صوت التصوير في النص خافتا، ولم يصل في سموقه وقوته إلى درجة فنية عالية.

رابعا: الموسيقى في شعر عريب

الموسيقى عنصر أساسي في الشعر، لا يمكن الاستغناء عنه بحال من الأحوال، وإلا أصبح الشعر عملا جافا، لا روح فيه ولا حياة، فالشعر (صناعة معقدة تخضع لقواعد صارمة في وقتها، بحيث لا ينحرف عنها صناع الشعر إلا ليضيفوا إليها قواعد أخرى) (١)

والعمل الفني خليط من اللفظ والعبارة، والصورة الشعرية، ولكل من هذه العناصر دوره في تكوين ذلك النسيج المتداخل المكون للعمل الفني، وإليها جميعا يضاف عنصر: الموسيقى ؛ حتى يكتمل البناء الفني، ومن خلاله نستطيع التعرف على مدى قدرة الشاعر على الملائمة بين عواطفه وموضوعه.

(١)الصراع بين الإنسان والطبيعة في الشعر الجاهلي، د/ محمد الكومي /١٧٩، الهيئة المصرية العامة للكتاب، اسكندرية ١٩٧٨م

وللموسيقى أثرها البالغ في التأثير النفسي، إذ إن الشعر (موسيقى ذات أفكار) ولا يخلو الشعر منها خارجية كانت أو داخلية.

فالموسيقى الخارجية: يراد بها: الأوزان والقوافي، وكما يقول قدامة بن جعفر:

(الشعر محصور بالوزن، محصور بالقافية) [1]

والموسيقى الداخلية: يراد بها: ذلك الانسجام الداخلي، الذي ينبع من التوافق الموسيقي بين الألفاظ ودلالتها حينا، وبين الكلمات بعضها مع بعض في حين آخر.

وهذا اللون من الموسيقى له عناصر كثيرة، لايمكن الإشارة إليها بالبنان، ولكنه باب مفتوح أمام الذوق، يستنبط منه بمقدار ما رزقه الله من سعة في المعرفة، وغزارة في العلم.

ويمكن أن نذكر هنا شاهدا من شعر عريب، ثم نتناوله بالتحليل ليبان كيفية توظيف العناصر الموسيقية لإكمال البناء الفني.

تقول عريب في قبيحة جارية المتوكل على لسانه حين علم بعلته[2]:

شبت قبيحة في قلبي حرقا وبدلت مقلتي من نومها أرقا

ما ذاك إلا لشكواها فقد عطفت قلبي على كل شاك بعدها شفقا

كأنها زهرة بيضاء قد ذبلت أو نرجس مسك من طيبها عبقا

إني لأرحم من حبي لها سلمت من كل حادثة – يا قوم من عشقا

تبدو الموسيقى – في هذه الأبيات – منسجمة مع الجو النفسي للشاعرة..

---

(١)نقد النثر، قدامة بن جعفر، ت د/ طه حسين، وعبدالحميد العبادي /٧٥، مطبعة، شركة مسامة مصرية _ القاهرة ١٩٣٩م

(٢)الإماء الشواعر / ١٤١، والأبيات من البسيط

وأول ما تتجلى الموسيقى – هنا – تتجلى في موسيقى الإيقاع (الوزن) حيث اختارت الشاعرة لتجربتها بحر البسيط التام، وهو بحر ذو رزانة وعراقة، وجلال وروعة، ولا يكاد روح البسيط يخلو من أحد النقيضين: العنف واللين (١)

وعريب موفقة في اختيار هذا الوزن وعاء لتجربتها، ووجه التوفيق: أن فيه عنفا يناسب العواطف المضطرمة المشبوبة، والحال أن الشاعرة تترجم عن قلق الخليفة نحو قبيحة، والقلق توتر وحيرة، وعنف وانفعال داخلي.

وفي بحر البسيط – أيضا– لين ونعومة، والحال أن عريبا تحاول تجسيد شفقة الخليفة وعطفه عليها، وهو أمر يناسبه اللين، وتناسبه الانسيابية الموجودة في البسيط.

والقافية التي اختارتها عريب لتجربتها، قافية مطلقة (متحركة) وهذا يعكس طول نفس الشاعرة حين يطول بها القول، وتستأثر بها التفصيلات، وهذا ما قدمته القافية هنا.

والروى – في النص الذي معنا – هو حرف القاف التي بعد ألف الإشباع، وقد صور بتكراره، وامتداده: القلق الشديد الذي يسيطر على المتوكل تجاه قبيحة في هذا الموقف.

وتتجلى الموسيقى الداخلية في هذا النص في أمور منها:

- **أن عريبا كررت حرف (القاف) ذا الصوت الضخم المزلزل خمس مرات في البيت الأول، وقد عمل تكراره بهذه الصورة على خلق نغم موسيقي جذاب، يجسد مقدار القلق والتخبط الذي مني به الخليفة بسبب اعتلال جاريته قبيحة.**

---

(١)ينظر: بلاغة الإيقاع في القصيدة العربية، د. عبدالباسط سعيد عطايا /٣٣، مطبعة الشمس، شبين الكوم ١٩٩٥م

وكذلك كررت كلا من حرف الباء والتاء – في البيت نفسه – أربع مرات، وهما من الحروف المهموسة، وتكرارهما يجسد رقة الخليفة وشفقتة وعطفه على جاريته.

ومن عناصر الموسيقى الداخلية: هذا الجناس الكامن في البيت الأول بين كلمتي: حرقا، وأرقا، وهو جناس ناقص، وقد أدى إلى سريان لون من الموسيقى الخفية الجذابة في البيت، كما أن المد في الكلمتين يعطي نغما جذابا تطرب لسماعه الآذان.

وتسري الموسيقى الداخلية في النص أيضا من خلال روح التناسب التي تربط بين الكلمات برباط متين، فالكلمات (شبت، وقلبي، حرقا) متناسبة، والكلمات (مقلتي، ونومها، وأرقا) متناسبة، وكذلك كلمات (الشكوى، والعطف، والقلب، والشفقة،) في البيت الثاني متناسبة متآخية، وكذلك كلمات (زهرة، ونرجس، وذبلت، ومسك، وطيب، وعبق) بينها تناسب.

وكلمات النص حين تتناسب وتتآلف وتتآزر تضفي على الكلام سحرا و جمالا، وتربط بين أجزائه برباط فني متين، ويقوم إيقاع الكلمات في هذا النص بأداء دور مهم في نشر أطياف من الموسيقى الداخلية التي تتهادي هنا وهناك.

ومن عناصر الموسيقى الداخلية البارزة في النص: اتحاد كلمات القافية في الوزن، فقد جاءت هكذا: أرقا، شفقا، عبقا، عشقا.

ومن طبيعة هذا الانسجام الصوتي أن يخلع على الكلام انسجاما وتوازنا، ويختمه بإيقاع موسيقى موحد وجذاب.

وبعد: فإننا باستقراء شعر عريب، نلحظ: أنها استخدمت – في نظمها – البحور العروضية الطويلة بكثرة، وقلّ استخدامها

للبحور القصيرة (المجزوءة) وكان من البحور الطويلة التي استخدمتها كثيرا: البسيط، يليه الطويل، ثم الكامل، ثم الوافر، ثم المتقارب، ثم الرمل، ثم السريع.

وسوف يظهر هذا الأمر جليا في المبحث القادم الذي جمعت فيه أشعارها، ونسبت إلى بحورها ،إتماما للفائدة، وتأكيدا على محافظة عريب على الأوزان العروضية الأصيلة في نظمها.

ونلحظ – كذلك – أن عريبا حافظت على نظام القافية، ولم تتخلص منه نهائيا ؛ لأن القافية تمثل عندها بعدا موسيقيا جذابا ومؤثرا (١) كما أن عريبا نوعت ما بين حروف الروي التي تبنى عليها المقطوعات، قاصدة من وراء ذلك: خلق جو من الألفة والتناسب بين موضوع الأبيات، وبين الحرف الذي تختم به الأبيات، وكذلك بين الموضوع وبين المتلقي، وبذلك يصبح النص وناظمه ومتلقيه على درجة واحدة من التواصل.

١ ينظر: بلاغة الايقاع في القصيدة العربية / ١٣٤

المبحث الرابع

مجموع أشعار
عريب المأمونية

بعد القراءة المستقصية المستفيضة لشعر عريب، وجمعه من مظانه المختلفة، رأينا أنه من المفيد إثبات ذلك وضبطه هنا، حتى يكون قريباً لطالبه، دانياً لمحبه، وإليك شعرها:

١- حضر بنان بن عمرو المغني مجلساً لها، فأكل وشرب ثم غنى، فكتبت على أثر ذلك:

أجاب الوابل الغدق وصاح النرجس الغرق
فهات الكأس مترعة كأن حبابها حدق
تكاد بنور بهجتها حواش الكأس تحترق
فقد غنى بنان لنا جفون حشوها الأرق

(الأبيات من الوافر)

٢- أورد محمد بن الفضل النيسابوري لعريب ترثي العباس ولد المأمون:

يا من بمصر غدرها الدهر قد كان فيك يصاول الدهر
زعموا قتلت وعندهم عذر كلا، وربك ما لهم عذر

(الأبيات من الكامل)

٣- وقالت في صالح المنذري الخادم – الذي كانت تحبه – حين وجهه المتوكل إلى مكان بعيد:

أما الحبيب فقد مضى بالرغم مني لا الرضا
أخطأت في تركي لمن لم ألق منه معرضاً
لبعده عن ناظري صرت بعيشي عرضاً

(الأبيات من الكامل)

٤- وكتبت إلى محمد بن حامد الخاقاني – الذي كانت تحبه – تستزيره، فأبى خوفاً من المأمون، فقالت في ذلك:

إذا كنت تحذرما تحذر وتعلم أنك لا تجسر
فما بالي أقيم على صبوتي ويوم لقائك لا يقدر

(المتقارب)

٥- وكتبت عريب إلى محمد بن حامد تعتذر إليه من شئ بلغه عنها، فلم يقبل اعتذارها، فقالت:

تبينت عذري وما تعذر وأبليت جسمي ولا تشعر
ألفت السرور وخليتني ودمعي من العين لا يفتر

(المتقارب)

٦- قالت بعد أن عوفي المتوكل من علةٍ ألمت به:

شكراً لأنعم من عافاك من سقم دمت المعافى من الآلام والسقم
عادت ببرديك للأيام بهجتها واهتز نبت رياض الجود والكرم
ما قام بالجود بعد المصطفى ملك أعف منك ولا أرعى على الذمم
فعمر الله فينا جعفراً ونفى بنور سنته عنا دجى الظلم

(البسيط)

٧- ودخلت عريب على المتوكل لعيادته، وقد أصابته حمى، فقالت:

أتوني فقالوا: بالخليفة علة فقلت ونار الشوق تقدح في صدري
ألا ليت بي حمى الخليفة جعفر فكانت بي الحمى، وكان له أجري
كفى حزنا أن قيل حم فلم أمت من الحزن إني بعد هذا لذو صبر
جعلت فداء للخليفة جعفر وذاك قليل من ثناي ومن شكري

(الطويل)

٨- فلما عوفي من علته، قالت:

حمدنا الذي عافى الخليفة جعفراً على رغم أشياع الضلالة والكفر
فما كان إلا مثل بدر أصابه كسوف قليل ثم جلى عن البدر
سلامته للدين عز وقوة وعلته للدين قاصمة الظهر
مرضت، فأمرضت البرية كلها وأظلمت الأمصار من شدة الذعر
فلما استبان الناس منك إفاقة أقاموا وكانوا كالنيام على الجمر
سلامة دنيانا سلامة جعفر فدام معافى سالماً آخر الدهر

أقام يعم الناس بالعدل والتقى قريباً من التقوى بعيداً من الوزر

(الطويل)

٩- وقالت فيه أيضاً:

حمدنا الذي عافاك ياخير من مشى بأنفسنا الشكوى وكان له الأجر

أتوني فقالوا لي بجعفر علة فقلت لهم: يارب ما انكسف البدر (الطويل)

١٠- وقالت عريب تهنئ المتوكل ببنائه قصر شبداز المنيف:

بالسعد واليمن ما ترى قصر شبداز حللته في سعادات وإعزاز

فاشكر لمن بك تمت فيه نعمته بناؤه تم في يسر وإيجاز

لو رام هذا لأعياً دون مبلغه "دارا" وقصّر عنه ملك "برواز"

بجعفر وضحت سبل الهدى وبه راش البرية طراً بعد إعواز

(البسيط)

١١- وعندما مرضت قبيحة جارية المتوكل، قال لعريب: قولي في قبيحة شيئاً على لساني يذكر أني قلق عليها، فقالت عريب:

شبت قبيحة في قلبي لها حرقاً وبدلت مقلتي من نومها أرقاً

ما ذاك إلا لشكواها فقد عطفت قلبي على كل شاك بعدها شفقاً

كأنها زهرة بيضاء قد ذبلت أو نرجس مسك من طيبها عبقاً

إني لأرحم من حبي لها سلمت من كل حادثة يا قوم من عشقا...

(البسيط)

١٢- ولما بلغ ذلك قبيحة، قالت لعريب: أجيبيه عني، فقالت عريب

يا سيدي أنت حقاً سمتني الأرقا وأنت علمت قلبي الوجد والحرقا

لولاك لم أتألم علة أبداً لكن على كبدي أسرفت فاحترقا

إذا شكوت إليه الوجد كذبني وإن شكا قال قلبي خيفة:صدقا.....

(البسيط)

١٣- دخلت عريب على المعتمد يوماً، وهو مخمور، فأخذت دواة ودرجاً وكتبت هذا الشعر:

قلبي هام بأحمدٍ لا بالظباء الخُرد
بعديك كل أحمد بعد النبي الأحمد
الهاشمي الأبطحي القرشي المهتدى

(مجزوء الرجز)

١٤- ودخلت عريب على المتوكل، وهو مقيم بالقاطول، يشرب في الزو، فقالت:

سنة وشهر قابلا بسعود وجه الخليفة إنه لسعيد
اشرب على ملك أتاك مجرداً في كل يوم ما تحب جديد
سنة إلى تسعين عقد حسابها وعنان ملك محكم معقود
فالزو والقاطول أحسن منظر وغنا عريب ما لذاك نديد

(الكامل)

١٥- وكتبت عريب إلى المأمون، وقد خرج إلى فم الصِّلح (١)، لزفاف بوران (٢)

أنعم تخطتك صروف الردى بقرب بوران مدى الدهر
درة خدر لم يزل نجمها بنجم مأمون العلا يجري
حتى استقر الملك في حجرها بورك في ذلك من حجر

---

١ فم الصلح: بلدة تقع على نهر الصلح المتخلج من نهر دجلة فوق واسط من الجانب الشرقي، وفيها كانت دار الحسن بن سهل، وزير المأمون .

٢ بوران: ابنة الحسن بن سهل، ولدت عام ١٩٢هـ، وبنى المأمون بها في فم الصلح، وتوفيت عام ٢٧١هـ

يا سيدي لا تنسى عهدي فما أطلب شيئاً غير ما تدري

(السريع)

١٦- ومن شعرها في المتوكل:

بجعفر زادني الرحمن إيماناً جزاه ذو العرش بالإحسان إحسانا

وزاد في عمره طولاً ومنزلة فيه وأعلا له في الأرض سلطانا

(البسيط)

١٧- ولها فيه أيضاً:

بوجه أمين الله جعفر أشرقت وانبثَّ في الأرض نورها

وقام خطيباً فاكتسى العدل بهجة وعزت به التقوى ودام سرورها

(الطويل)

١٨- ولها في المتوكل أيضاً:

بجعفر نام المسلمون توكلاً على أنه عن أمرهم غير نائم

أقام رشيد الأمر في كل فعلةٍ به هدر في كل باغ وظالم

(الطويل)

١٩- ولها في الخليفة المستعين:

بوجه المستعين يزيد حسناً بنا قد جل عن كنه الصفات

وأم المستعين لها أيادٍ سوابق في الندى متتابعات

على البركات حلت خير دار وأيمنُ طائرٍ وعلى الثبات

أقامت في مجالس مونقات شوامخ، بالسعود متوجات

بناء مشرق يزداد حسناً بأحمد ذي العلا والمكرمات

(الوافر)

٢٠- ولها في المستعين أيضاً:

أيها الطارقون في الأسحار أصبحونا، فالعيش في الابتكار

لا تخافوا صرف الزمان علينا ما لصرف الزمان والأحرار
إنما المستعين بالله جار وهو بالله في أعز الجوار
ملك في جبينه كسنا البر ق، ونور يعلو على الأنوار
حل بستان شاهك طائر السعد بوجه الإمام ذي الأسفار
جدد الله فيه كل نعيم في معين بربوة وقرار
وبه النرجس المضاعف يدعو نا خلال الأشجار والأنهار
انزلوا عندنا سرور مقيم وحديث يطيب للسمار
وبه زهر البنفسج تهـ تز مع الورد في عراض البهار
ونبات الأترج قد قابل التفاح صلى صغاره بالكبار
وأغاني عريب إذ نثر الدر إذا ما شدت على الأوتار
وترى الأرض وجهها مشرق يضـ حك بين النوار في الأشجار
وبها الصيد من حباري ودرا ج، وغر يصاد بالأطيار
ومتى شئت صدت فيها غزالاً وتصيد الحيتان في جوف دار
وترى الضب فيه والنوق والملا ح والحادیین خلف القطار
مجمع العير والسفين إليه فرضة البر فرضه للبحار
حكمة تعجز الشياطين عنها واحتراق الزلال جوف المجاري
ما رأينا كسيد جمع الفض ل بحسن التدبير والاختيار
فإذا عاش للأنام "وصيف" و"بغا" فالملك ثبت القرار (١)
فهما جنة الأنام وسيفاه وأنصاره على الكفار
دام هذا وزاد فيه بمولا نا على رغم أنفس الأشرار

(الخفيف التام)

١ وصيف، وبغا: قائدان تركيان معروفان

٢١- ومن شعرها في المستعين أيضاً:

بارتياح الخليفة المستعين جمع الله كل دنيا ودين
وبعدل الخليفة المستعين استجارت من البكاء جفوني
(الخفيف)

٢٢- ومن شعرها في المستعين أيضاً:

بالمستعين إمام أمة أحمد عم الإله سوابغ النعماء
الله منَّ على الأنام بملكه لولاه كانوا في دجى عشواء
يا خير من قصدت له آمالنا لسداد ثغر أو لبذل عطاء
أعطاك في العباس رب محمد ما يأمل الخلفاء في الأبناء
ووقاك فيه – والرعية كلها – ما تحذر الآباء في الأبناء
وأراكه من فوق منبر أحمدٍ يتلو عليه مواعظ الخلفاء
(الكامل)

٢٣- ولعريب في المستعين أيضاً:

بالمستعين أنارت الدنيا وصفا لأهل الطاعة المحيا
ملك إذا عدت محاسنه لم يستطع أحد لها إحصا
أبقاه في عز وعافية رب العلا ما شاء أن يبقى
(الكامل)

٢٤- ولها فيه أيضاً:

بالمستعين الإمام أحمد قا م العدل فينا فالخير منتشر
بدا لنا يوم عقد بيعته يشرق نوراً كأنه القمر
فالحمد لله لا شريك له قد رزق الناس أحسن الخبر (مجزوء البسيط)

٢٥- ولها في المستعين أيضاً:

بوجهك نستجير من الزمان ويطلق كل مكروب وعانى
أشعت العدل والإحسان حتى غدوت من المآثم في أمان
فنسأل ربنا عونا بشكر فقد أعطاك مفروج الأماني
إذا سلم الإمام فكل نفس فداء المستعين من الزمان

(الوافر التام)

ولها في المعتز وأمه قبيحة شعر تقول فيه:

اسلمي يا دار ذات العـ ـز للمعتز داراً
ثم كوني لولي الد هر خلدا وقراراً
أبداً معمورة ما طرد الليل النهارا
ويكون الله للديـ ـن، وللإسلام جاراً
وولياً ونصيراً حيث ما حل وسارا
يا أمير المؤمنين اختا رك الله اختياراً
وولاة العهد للدين صغاراً وكباراً
دام للدهر لنا ما طلع النجم وغارا

(الرمل التام)

٢٦- ولها في المعتمد تعاتبه:

بارك الله للإمام أبي العباس غيث الأنام في المعشوق (١)

يا سيد البدر المنير كمالا وابن عم الهادي النبي الصدوق
فيم يا سيدي ومولاي أشـ ـمت عدوي وسؤتني في صديقي

(الخفيف)

١ المعشوق: قصر بناه المعتمد، لا تزال آثاره شاخصة إلى اليوم

٢٧- ولها فيه أيضاً:

بالقمرين المنيرين أنارت الدنيا وتكفكفت عن أهلها البلوى
قمر السماء ووجه أحمد إنه في الحسن نال الغاية القصوى

(الكامل)

٢٨- ولها في المأمون لما أراد الخروج إلى بلاد الروم:

سأدعو دعوة المضطر رباً يثيب على الدعاء ويستجيب
لعل الله أن يكفيك حرباً ويجمعنا كما تهوى القلوب

(الوافر)

٢٩- ولما وصلها نعي المأمون، بكت، ثم قالت:

إن الزمان الذي سقانا من مرارته بعد الحلاوة أنفاساً وأروانا
أبدى لنا تارة منه فأضحكنا ثم انثنى تارة أخرى فأبكانا
إنا إلى الله فيما لا يزال لنا من القضاء، ومن تلوين دنيانا
دنيانا نراها ترينا من تصرفها ما لا يدوم مصافاة وأحزانا
ونحن فيها كأنا لا نزايلها للعيش أحياؤنا يبكون موتانا

(البسيط)

٣٠- وكتبت عريب على كم ثوب لها تقول:

إذا صد من أهوى وأسلمني للكرى
ففرقة من أهوى أحر من الجمر (مجزوء المتقارب)

٣١- وكان لعريب ثوب مطرز بالذهب، مكتوب في وشاحه:

وإني لأهواه مسيئاً ومحسناً وأقضي على قلبي بالذي يقضى
فحتى متى روح الرضا لا ينالني ؟ وحتى متى أيام سخطك لا تمضي ؟

(الطويل)

٣٢- ولها متغزلة في محمد بن حامد الخاقاني:

بأبي كل أزرق أصهب اللون أشقر
جن قلبي به وليس جنوني بمنكر

(الخفيف)

٣٣- وكتبت تعتب عليه:

ويلي عليك ومنكا أوقعت في الحق شكا
زعمت أني خؤون جوراً علي وإفكا
إن كان ما قلت حقاً أو كنت أزعمت تركاً
فأبدل الله ما بي من ذلة الحب نسكا

(الخفيف)

٣٤- ولها في شكوى الدهر:

من صاحب الدهر لم يأمن تصرفه غبا، وللدهر إحلاء وإمرار
وكل شئ وإن طالت إقامته إذا انتهى فله لابد إقصار

(البسيط)

٣٦- ومن شعر عريب في أحدهم، وأظنه محمداً بن حامد الخاقاني:

لا غرني بعدك إنسان فقد بدت لي منك ألوان
وإن تغيرت فما حيلتي مالي على قلبك سلطان

(البسيط)

٣٧- وكتبت عريب شاكية:

أشكو إلى الله ما ألقى من الكمد حسبي بربي ولا أشكو إلى أحد
أين الزمان الذي قد كنت ناعمة في ظله بدنوى منك يا سندي
وأسأل الله يوماً منك يفرحني فقد كحلت جفون العين بالسهد

(البسيط)

****

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، أحمده وأشكره، وأستزيده من خيره، وفيض علمه، وبره، ومولاة إحسانه وإنعامه، إنه على ذلك قدير.

وأصلي وأسلم على سيدنا مولانا رسول الله ﴿ﷺ﴾ وعلى آله وأصحابه الطيبين الأخيار

ثم أما بعد:

فقد طوفت خلال الصفحات الماضية حول حياة عريب المأمونية، وحول شعرها، وهي إحدى الجواري اللامعات اللائي عشن في قصور الخلافة العباسية، وكان لها صوت، وأثر، وشدو أثّر في كثير من أهل زمانها، من خلفاء، وأمراء، وقواد، وأصدقاء.

ويمكن أن أسجل – هنا – بعض النتائج التي انتهى إليها البحث فيما يلي:

١- أن أدب المرأة في العصر العباسي، كان انطلاقة حضارية، واستجابة للثقافة السائدة آنذاك، من حيث الأغراض، والمعاني، وأساليب التعبير.

٢- اقتصار شعر المرأة – غالباً – على نظام المقطوعات، لاعتمادها على خفة الوزن، ورشاقة الأداء، تأكيداً على أن المرأة تختلف عن الرجل في قول الشعر.

٣- أن شعر الجواري في قصور الخلافة العباسية، قد ضاع أكثره، ولم يبق منه إلا القليل، مما غناه المغنون، أو غنت به المغنيات، أو ما اتصل بحادثة لا تنسى. إلخ.....

٤- أن عريباً من الشاعرات اللائي أكثرن وأجدن في نظم الشعر وذلك إذا قيست بغيرها من الجواري الشاعرات الكثيرات في عصرها، أمثال: محبوبة، وقبيحة، وسكن، وفضل، وغيرهن.

٥- أن شعر عريب لم يستوف كل الموضوعات الشعرية التي شاعت في عصرها، وإنما اقتصر على بعض الأغراض الحياتية، أو موضوعات القصر اليومية.

٦- حرصت عريب – في أشعارها – على استخدام الألفاظ السهلة، والتعابير الرقيقة، التي تكاد تقترب من الحديث اليومي، مع الحرص على البراعة، وحسن الأسلوب، والانفعال الشعوري.

تم بحمد الله تعالى

وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

١- الأعلام، خير الدين الزركلي، الطبعة الخامسة، دار العلم للملايين ١٩٨٠م
٢- الإماء الشواعر، لأبي الفرج الأصفهاني، تحقيق الدكتور / جليل العطية، دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع.
٣- أدب المرأة في العصر العباسي وملامحه الفنية، د. / خالد الحلبوني، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٦، العدد الثالث والرابع – ٢٠١٠ م
٤- الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، طبعة دار الشعب ١٩٦٩ م
٥- البداية والنهاية، لأبي الفداء الحـافظ بن كثير، تخريج وتحقيق / أحمد جاد، دار الحديث – القاهرة ٢٠٠٦ م
٦- بلاغة الإيقاع في القصيدة العربية، د./ عبد الباسط سعيد عطايا، مطبعة الشمس، شبين الكوم ١٩٩٥ م
٧- تاريخ الأدب العربي – العصر العباسي الأول، د. شوقي حنيف، الطبعة السابعة عشرة، دار المعارف ٢٠٠٧م
٨- التوجيه الأدبي، تأليف / طه حسين وآخرين، مطابع دار الكتاب العربي بمصر ١٩٥٣ م
٩- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، الثعالبي، تحقيق / محمد أبو الفضل، طبعة دار المعارف ١٩٨٥م
١٠- حكايات الجواري في قصور الخلافة، تأليف / سعيد أبو العينين، دار أخبار اليوم – قطاع الثقافة – عدد يونية ١٩٩٨ م
١١- ديوان بشار بن برد، تحقيق وتقديم / محمد الطاهر عاشور، لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة
١٢- الدولة العباسية، الشيخ / محمد الخضري، مكتبة الإيمان – المنصورة ٢٠٠٦ م
١٣- الرؤية الذاتية في شعر المرأة الأندلسية، فوزية عبد الله العقيلي (رسالة ماجستير مخطوطة في جامعة أم القرى – قسم اللغة العربية ١٤٢١/٣/٣ هـ
١٤- سلطة الجواري في العصر العباسي، د./ ناهضة مطر حسن (رسالة ماجستير – جامعة واسط – كلية التربية)

١٥- شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، جمعه ورتبه ووقف على طبعه / بشير يموت، الطبعة الأولى، المكتبة الأهلية – بيروت ١٩٣٤م

١٦- الشعر والشعراء في العصر العباسي، د./ مصطفى الشكعة، دار العلم للملايين – بيروت

١٧- شخصيات حية من الأغاني، د/ محمد قنديل المنسي، الطبعة الأولى، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩١م

١٨- الصورة الأدبية تأريخ ونقد، د./ علي علي صبح، طبعة دار إحياء الكتب العربية

١٩- العقد الفريد، لأحمد بن عبد ربه الأندلسي، تقديم وتعليق / أحمد يسري الغرباوي، الطبعة الأولى، دار الإمام علي للطباعة والنشر – القاهرة ١٩٩٢م

٢٠- لسان العرب، لابن منظور الإفريقي المصري، الطبعة الثالثة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٩٤م

٢١- مصارع العشاق، لأبي محمد جعفر بن أحمد السراج القارئ – دار صادر – بيروت

٢٢- نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، مطبعة دار الكتب المصرية – القاهرة ١٩٢٥م

٢٣- النساء الحاكمات من الجواري والملكات د./ يحيى وهيب الجبوري، دار مجد لاوي للنشر والتوزيع – عمان – الأردن ٢٠١٠م

٢٤- نساء الخلفاء المسمى: جهات الأئمة والخلفاء من الحرائر والإماء، تأليف / الخازن البغدادي، تحقيق وتعليق د./ مصطفى جواد، دار المعارف بمصر – القاهرة

فهرس الموضوعات

الموضـــــــــــوع	الصفحة
المقدمة	٥٨٥
المبحث الأول: أضواء على حياة عريب المأمونية.....	٥٨٨
أولاً: عريب.. نسبها.. ونشأتها.....	٥٨٩
ثانياً: وصف عريب.....	٥٩١
ثالثاً: أخبارها مع خلفاء بني العباس، وشعرها فيهم...	٥٩٤
رابعاً: أخبارها مع بعض جلسائها ومعاصريها.....	٥٩٨
خامساً: وفاتها.....	٦٠٨
المبحث الثاني: شعر عريب المأمونية.. فنون وأغراض	٦١٠
١ – المدح.....	٦١١
٢ – الغزل.....	٦١٣
٣ – الوصف.....	٦١٦
٤ – التهنئة.....	٦٢٠
٥ – العتاب.....،،.....	٦٢٢
٦ – الشكوى.....	٦٢٣
٧ – الرثاء.....	٦٢٦
المبحث الثالث: خصائص فنية في شعر عريب المأمونية	٦٢٧

أولاً: البناء الفني للأبيات.....	٦٢٨
ثانياً: اللغة " الألفاظ والأساليب ".....	٦٣٠
ثالثاً: الصورة الشعرية عند عريب.....	٦٣٥
رابعاً: الموسيقى في شعر عريب.....	٦٤٠
المبحث الرابع: مجموع أشعار عريب المأمونية.....	٦٤٥
- الخاتمة.....	٦٥٧
- المصادر والمراجع.....	٦٥٩
- فهرس الموضوعات.....	٦٦١

تم بحمد الله تعالى

****